عين المدينة
مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 91 / 1 نيسان 2017

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

نازحون من الرقة
خاص عين المدينة

الافتتاحية

دروس المعارك الأخيرة

خاض الثوار، مؤخراً، ثلاث معارك يجدر التأمل فيها لاستنتاج بعض المعطيات. كانت الأولى باسم #الموت_ولا_المذلة في مدينة درعا، والثانية #يا_عباد_الله_اثبتوا على أطراف دمشق، والثالثة معركة #وقل_اعملوا في ريف حماة.

اختلفت هذه المعارك في القوى التي أطلقتها، من الجيش الحر في درعا إلى هيئة تحرير الشام، وهي الفصيل الإسلامي الأبرز الآن، في حماة، مروراً بفيلق الرحمن الوسطي في معركة حيّ جوبر الدمشقي. كما اختلفت أسباب المعارك؛ ربما فعل جمود جبهات درعا فعله لتبرئة المشاركين من تهمة الإخلاد إلى أوامر الداعم، بينما بدت معركة دمشق استباقية في ظل شهية النظام المفتوحة على أرياف دمشق اللصيقة، أما في حماة فجاء «استكمال» المعركة التي أطلقت في الصيف الماضي بمثابة ورقة الاعتماد التي تريد هيئة تحرير الشام دخول «الساحة» بها.

غير أن ما يجمع هذه المعارك الثلاث أكبر بكثير مما يميز بينها، وهي الأمور الجديرة بالتأمل. فبخلاف كلام صار شائعاً إلى درجة الإملال عن أن الفصائل أصبحت مجرد بيادق تتحرك وفق رغبات الداعم وتتوقف عند حدودٍ يرسمها، لا يبدو أن هذه حال المعارك الثلاث التي تعرّض بعضها إلى إغلاق باب استقبال الجرحى في دول الجوار. والحق أن هذه فرصة لنراجع أوهامنا السهلة الشائعة، ولنعاود احترام جهودنا العسكرية المستقلة، دون أن يعني هذا تجاهل التأثر المفروض بالداعمين الإقليميين وسواهم وفق مقتضيات الحال لا بناء على التبعية البلهاء والعمالة الرخيصة التي نتراشق بها دون حساب.

كما ميّز هذه المعارك تقدّم سريع للثوار والفصائل على حساب قوات النظام التي راحت تنهار هنا وهناك حتى تدخل قوى أخرى؛ هي داعش التي خرجت من سباتها في حوض اليرموك وهاجمت الجيش الحرّ من الخلف، كما هي العادة، والقوات الروسية والعراقية في شارع فارس الخوري بدمشق، وبقايا قوات النظام وميليشياته التي تجمعت من حلب وسواها وانطلقت إلى حماة، وفوق المشهد يحلق الطيران الذي لا يكاد يهدأ لدقائق، حاملاً براميل السارين والفوسفور فضلاً عن الأسلحة التقليدية بكثافة غير مسبوقة.

أدى ذلك إلى التراجع في المعارك الثلاث، ولا سيما في دمشق، ولكن إلى متى؟ وهل يجب على الطيران الروسي أن يبقى في الجو 24 ساعة ليتمكن بشار من البقاء في قصره، كما كتبت صحيفة روسية؟!

3 في الرقة: لن تقاتل داعش كما تريد
5-4 المجزرة الكبرى التي تستر عليها تنظيم الدولة
7-6 مدينة الباب بين الاحتلال والتحرير
11 قمحانة .. البلدة التائهة
12 إلفيرا كاريبفا.. عروسة داعش المغدورة
15-14 الطيب والشرير والقبيح
16 خرافة المكون العربي السني
19 الحاج أحمد دهموش واضع «طاقية هذا براس هذاك»

في الرقة.. لن تقاتل داعش كما تريد

وستة آلاف عنصر من الأطفال لن يدافعوا عنها

تقرير خاص

مع تقدم الحملة العسكرية التي تقودها القوات الأميركية نحو مدينة الرقة، يقترب تنظيم داعش من خوض واحدة من معاركه المصيرية التي يصعب التنبؤ بمجرياتها رغم نتيجتها المحسومة ضده. نحاول في هذا التقرير تقييم قدرة التنظيم على الدفاع عن نفسه هناك، معتمدين على أرقام وتقديرات خاصة من مصادر موثوقة.

لا يزيد عدد عناصر داعش المسجلين في جيش «ولاية الرقة» اليوم عن (6000)، يضاف إليهم نحو (1500) يمكن استدعاؤهم من الحسبة والشرطة وغيرها من أجهزة داعش الأخرى في الرقة. وهذا الرقم أقل بكثير مما كان عليه في العام 2015، عندما تجاوز حدود (12) ألف عنصر من السوريين ومن جنسيات متنوعة. ليتآكل تدريجياً بفعل الحملات التي خرجت من الرقة مؤازرة «جيوش ولايات» أخرى في سوريا والعراق، مني أكثرها بخسائر بشرية فادحة، فاقترب عدد قتلى داعش من «جيش الرقة» في العام الماضي من (3000) قتيل. ولم يقابل هذا النزيف العددي بالتعويض الكافي من المنتسبين الجدد، الذين لم يتجاوز عددهم في العام ذاته ألف عنصر، رغم حملات الدعاية المكثفة وندرة فرص العمل والضائقة المالية التي يمرّ بها السكان.

وبالنظر إلى أعمار القتلى من التنظيم خلال الأشهر الأخيرة تبدو داعش

وكأنها تقود جيشاً من الأطفال والمراهقين عديمي الكفاءة –رغم حماستهم– بعد أن تآكلت القوة المندفعة التي شكل «المهاجرون» قوامها، إما قتلاً على الجبهات أو نقلاً إلى «ولايات» أخرى إنقاذاً لأرواحهم من معركة خاسرة لن تكون مشاركتهم فيها نافعة في نهاية الأمر. ومن جانب آخر قد تقدم داعش على جلب مجموعات مؤازرة من دير الزور ومن بادية الشام حيث تنتشر على مساحات شاسعة، في محاولة عبثية لرفد قواها في الرقة ورفع الروح المعنوية الآخذة في الانهيار، خاصة لدى الأكبر سناً من الراشدين الذين انتسبوا إلى التنظيم لأسباب نفعية، وهو الانهيار الذي تجلى اليوم في حالات التملص المتزايدة من القتال بذرائع واهية.

وسوى النقص العددي الذي ستعاني منه داعش وقت انطلاق معركة المدينة، ستعاني أيضاً من نقص في الأسلحة الثقيلة ومن العجز عن تحقيق الإمداد الكافي بالذخيرة بسبب طول المسافات من معاقل التنظيم الأخرى وتقطع الطرق بفعل الغارات الجوية. وخلال السنة الأخيرة استنزفت داعش مستودعات ذخيرتها في الرقة لصالح جبهات حلب والعراق ولم تنل حصة كافية من غنائم تدمر والغنائم الأخرى أو حتى من صفقات السلاح المتفرقة التي شكلت مورداً هاماً للتسليح، وخاصة مع ضباط في جيش الأسد عبر وسطاء.

ورغم الفوارق البائنة بين الموصل التي انتزعتها داعش من حكومة طائفية والرقة التي احتلتها من الجيش الحر؛ يحاول التنظيم، حسب ما يبدو من سلوكه ومن خطاب دعاته اليوم في الرقة، تكرار ما جرى ويجري في مدينة الموصل، مستلهماً تجربتها التي يعدّها إيجابية. فقد نجح في إطالة عمر المعركة، وفي تكبيد أعدائه خسائر بشرية فادحة، ونجح إلى حد ما في تصويرهم، لجزء من العرب السنّة في العراق على الأقل، كغزاة متوحشين –رغم أن بعضهم كذلك– بعد سلسلة المذابح التي ارتكبوها في حق السكان. وتسعى داعش إلى اتباع وسائل الدفاع ذاتها في الرقة، من ناحية التضحية بقوة تقاتل حتى النهاية، وتفخيخ كل ما يمكن تفخيخه حسب ما تتيحه إمكاناتها على توفير ما يلزم من مواد متفجرة، ومحاولة احتجاز أو إعاقة السكان عن النزوح، مراهنة على استهتار القوات الأميركية وشركائها بأرواح الناس، وهو رهان ناجح حتى الآن مع الارتفاع الكبير لعدد الضحايا المدنيين في كل غارة لطائرات التحالف على مدينتي الطبقة والرقة وفي بلدة المنصورة وغيرها، ما قد يزيد النقمة الشعبية ضد المهاجمين، ولكن دون أن تنقلب هذه النقمة إلى اصطفاف فوري مع التنظيم وفق ما يريد، بل قد يستثمرها لاحقاً في ما يتبقى له من أرض، أو حين يتحول إلى جماعة سرية إن كتب له البقاء.

المجزرة التي تستَّر عليها تنظيم الدولة

سمهر الخالد

تبدو كمحاولة للتملص من المسؤولية، الحكاية التي أفشاها قادة أمنيون محليون في تنظيم الدولة الإسلامية من دير الزور حول إصدار أبو عبد الله الكويتي أحكام الإعدام بحق 400 طالب جامعي بالخطأ؛ منذ أكثر من سنة، بسبب «التدريب الجامعي» الذي لم يكن يعلم أنه مادة جامعية مقررة. وتكمل الحكاية أن أولئك الأمنيين دخلوا في نزاع مع الكويتي بسبب فعلته تلك، لكن شهادات ناجين تفيد بأكثر من ذلك.

رغم الحصار الذي فرضه تنظيم الدولة، مع بداية 2015، على الأحياء التي يسيطر عليها النظام من مدينة دير الزور، إلا أنه سمح بخروج المدنيين من هناك، كما ظل يسمح بدخولهم إليها لعدة أشهر من تلك السنة. ودفعت صعوبة التنقل، وقتها، أعداداً كبيرة من طلاب دير الزور الجامعيين إلى تأدية فحص الدورة الامتحانية الثانية في جامعة الفرات في المدينة، بعيداً عن جامعاتهم الأصلية في المحافظات الأخرى. ومنذ ما بعد منتصف سنة 2015 حتى نهايتها ظل الطلاب، وفئات متنوعة من الأهالي، يخرجون باتجاه الأراضي التي يسيطر عليها التنظيم، قبل أن يقل عددهم، ثم يفضلوا استعمال الطيران، بعد أن انتشر خبر اعتقال مدنيين كثر كانوا بينهم. ويفيد أحد الطلاب الناجين، وكان يدرس الأدب الفرنسي، أنه كان قد سمع قبل أن يخرج من المدينة أن التنظيم وعد بعدم المساس بالمدنيين، خاصة من يترك الأراضي التي يسيطر عليها النظام طوعاً.

لماذا بقيت المجزرة مجهولة؟!

يعلم من هم على علاقة بالقضية، كذوي الطلاب، بأمر المخطوفين وأعدادهم، ولكنهم فضلوا إخفاء ذلك عن الإعلام أملاً في خروج أبنائهم أحياء، رغم أن مكاتب العلاقات العامة في التنظيم أخبرت العديد ممن راجعوها أن الأبناء قتلوا بتهمة الردة، ولكن العوامل الاجتماعية تبقى حاضرة لتكريس الأمل، إذ يخبر أصدقاء بعض القتلى أهاليهم، خاصة الأمهات، أن أبناءهن بايعوا التنظيم وذهبوا معه إلى العراق. كما ساعد في إبقاء المجزرة طي الضمائر توقيت وقوعها في الأيام الأخيرة من سنة 2015، والتي أعقبها بقليل أو رافقها هجوم التنظيم على البغيلية، عندما تداولت صحف ووسائل إعلام -ربما اختلطت عليها الأمور- أن التنظيم خطف 400 شخص من هناك، قتل منهم ما يقارب 135 في أقل الروايات و300 في أكثرها، لكن الإعلاميين المحليين نفوا ذلك، إذ لم يكونوا على علم بقتل الطلاب حينها.

المسؤولون عن المجزرة

كما في مجزرة الشعيطات، يساق اسم أبو عبد الله الكويتي كمسؤول رئيسي عن أحكام الإعدام التي اعتمدت على فتوى صادرة منه. وتدعي وسائل إعلام عربية أن الكويتي قتل في ظروف غامضة في مدينة البوكمال، بينما نشرت أخرى خبر اعتقاله، لكن عناصر محليين يقولون إنهم شاهدوه في ولاية الشام بعد الحادثة بأشهر، وقد شاع وقتها تحرك التنظيم لمحاسبته.

ويشير طلاب ناجون ومطلعون على الحدث ومقربون من عناصر في التنظيم، بأصابع الاتهام إلى شخصيات محلية معروفة أسهمت بشكل مباشر في سوق الطلاب إلى حتفهم. إذ يفيد أكثر من شخص أن مسؤولين محليين في التنظيم من قرية محيميدة، وآخرين، كانوا وراء الأمر، حتى أن المحكمة التي أصدرت الأحكام كانت تعقد في أحد البيوت المصادرة في تلك القرية. لكن طالب الفرنسي يرجّح أن المحكمة كانت في قرية حطلة، إذ قضى قرابة الثلاث دقائق بسيارة نقلته من المحكمة معصوب العينين إلى دوار الحلبية مدخل مدينة دير الزور، حيث أطلق سراحه. لكن تحديد هويات القائمين على الاعتقال والتحقيق غير ممكن بسبب تغيير أولئك الأشخاص ألقابهم بشكل دوري.

الاعتقال والتحقيق

بتاريخ 2015/10/23 اعتقل حاجز البغيلية طالب الأدب الفرنسي حين خروجه مع أخيه من حيّ الجورة. ونقلهما عناصره، معصوبي الأعين، مع آخرين، بسيارة إلى مكان عرف في ما بعد أنه

شركة الأصايل في التبني، وسيعرف لاحقاً أن ذلك اليوم سيغيّر حياته إلى الأبد. يتذكر الآن أنه كان يسمع، من أحاديث الناس في الجورة والقصور، أن التنظيم يعتقل الخارجين من الحيين لساعات في مدرسة في معدان (على الحدود الإدارية بين الدير والرقة) ثم يطلق سراحهم، لكن ذلك الأمر تغيّر مع اعتقاله، أو قبله بأيام قليلة.

فقد انتشرت معتقلات التنظيم الخاصة بالخارجين إلى أراضيه في قرى الريف الغربي، حيث حول غرف أبنية سيطر عليها إلى زنازين، بعضها خاص بالنساء. تتسع كل زنزانة لعدد يتراوح بين 40 و150 شخصاً، بحسب شهادات ناجين. يتولى السجانون تفتيشهم قبل إدخالهم إليها، ويعمدون أثناء ذلك إلى تمزيق دفاتر الخدمة الإلزامية التي يجدونها بحوزة المعتقلين، ثم يبدأون بأخذهم فرادى إلى غرفة التحقيق، حيث ضرب طالب الفرنسي لساعات بأنبوب المياه الأخضر، بغية دفعه إلى الاعتراف بإحدى التهم التالية (الخروج في مسيرة تأييد؛ انتخاب بشار الأسد؛ الانتماء أو الاختلاط بالجيش الوطني؛ حضور معسكر تدريب جامعي). يقول: قلت لهم «لو عليّ شي ما جيتكم». بالنسبة إلى غيره من المعتقلين لن يقتصر الأمر على الأنبوب الأخضر، بل ستستعمل عصا المجرفة (الكريك) وعصيّ قوات حفظ النظام.

طال التعذيب كباراً في السنّ كانوا موظفين في دوائر الدولة، قتل بعضهم بعدها مع أبنائهم. واستعمل التنظيم أشخاص خارجين للتو من الحيين ضد الآخرين، فجندهم للتجسس على المعتقلين والتحقيق معهم أيضاً، حتى أن البعض يتكلم عن طلاب جامعيين كانوا يعملون في التحقيق، في فترة ساد فيها قانون يجرّم الطلاب الجامعيين عمّ الريف الغربي لأشهر، حتى أن صيدلياً عمل هناك يتذكر أن أمنياً من التنظيم قال له «أنت طالب؟»، فرد بالنفي فزعاً، وأرى أميره بطاقته على الفور.

بيروقراطية القتل

ليس معروفاً على وجه الدقة كيف أُطلقت الأحكام النهائية على المعتقلين، والتي قرر بموجبها الكويتي أو غيره قتل من قُتل وترك من تُرك. لكن الأحاديث تقول إن المحققين كانوا يمنحون الشخص الأمان ويقنعونه بالاعتراف، فإذا ارتاح لهم واعترف قتلوه. في حين يقول مطلعون إنهم، على العكس من ذلك، يسألون الشخص عن التهم فإذا اعترف بها تركوه، أما إذا لم يعترف، وتبين بعدها أنه مدان بها، قتلوه. وتثبت الشهادات ذلك، وتضيف إليه أشياء في غاية الغرابة.

فيفيد طالب الفرنسي أنهم يضربون الجميع بغض النظر عن اعترافاتهم، ويخبرونهم أن أقصى عقوبة هي الاستتابة حتى «لو قتل منا مائة قتيل». ويضيف أنه اعترف بأنه خضع لمعسكر التدريب الجامعي ولكن من أجل التخرج، وأنهم أخذوا اسمه من الجامعة من أجل الانتخاب، وأنه -خوفاً من الوشاية- كان يسلم على عناصر الجيش الوطني ويجلس مع من يعرفه منهم أحياناً، لأنهم «ما يخافون الله». لكنه أكد للمحققين أنه يكره النظام، فأوصوه، قبل أن يدخلوه إلى قضاتهم، ألا يخبرهم أنه اعترف بسبب الضرب.

أعاد على مسامع القضاة، وصوت الضرب يصل إلى مسامعه، ما كان قاله للمحققين، فسمع «لا حول ولا قوة إلا بالله» من فم القاضي الذي كان يعيد الأسئلة عليه ثم قال له «كم» (قم)، الكلمة التي سيكررها القاضي على مسامع المفرج عنهم فيعرفون أنهم سيبقون على قيد الحياة، بينما لن تقال لمن رفضوا الاعتراف بالتهم في البداية، ثم أُجبروا على ذلك بالتعذيب المستمر والمضاعف، والذين ستكون عقوبتهم الإعدام.

خرج من الأحياء التي يسيطر عليها النظام عناصر في الجيش والدفاع الوطني والأفرع الأمنية باتجاه أراضي التنظيم، ثم إلى تركيا، في الوقت نفسه الذي اعتقل فيه الطلاب، دون أن يتعرض لهم التنظيم. حتى انتشرت حينها نادرة تقول إنه إذا اتهمك أحد عناصر داعش: «مبيّن من شكلك تشتغل مع الأمن!»، قل له: «أنت مبيّن من سؤالك أنك تشتغل مع الأمن!!»، وعندها فقط سيتركك وشأنك.

استتابة مرتد

قضى الطالب 12 يوماً في المعتقل مع أخيه، ثم أُرسل إلى دورة استتابة مغلقة في الفاطسة التابعة لمدينة الميادين، حضرها بين 800 إلى 1000 شخص، غالبيتهم من جبهة النصرة والجيش الحر. وداوم، في الشهر الذي قضاه فيها، على سؤال كل من رآه من زملاء المعتقل عن أخيه، لكنه فقد أثره. وبعدما خرج راح يبحث عنه في قرى الريف الغربي إلى أن اهتدى، بعد شهر آخر، إلى مكتب العلاقات العامة في الميادين، الذي يملك قوائم بالقتلى، يقال إن عدد الذين تضمهم 600 شخص خرجوا من مناطق النظام، تقول روايات إن التنظيم رمى جثثهم في البادية بين دير الزور والحسكة، لكن طالب الأدب الفرنسي يبدو متأكداً أنها على تخوم قرية حوايج البومصعة التابعة لناحية الكسرة غرب دير الزور.

أخبر مسؤول العلاقات الطالب أن أخاه قتل بتهمة الردة، ورفض إعطاءه أغراض أخيه الخاصة، بينما تعامل المكتب مع آخرين بطريقة مختلفة، إذ حذرهم من العودة للسؤال عن المفقود، وهددهم بالاعتقال.

دورات الاستتابة – من إصدارات داعش

مدينة الباب بين الاحتلال والتحرير (القصة الكاملة)

محمد سرحيل

ياسر أبو الشيخ

شيخ المجاهدين أبو الطيب

زاهر الشرقاط

تبعد مدينة الباب عن مدينة حلب 38 كيلومتراً من الجهة الشمالية الشرقية. ويرجح أنها تعود إلى العهد الروماني، وقد فتحت عام 16 هـ على يد حبيب بن مسلمة الفهري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. يقدّر عدد سكانها بـ170 ألف نسمة عام 2011، وفق إحصائية غير رسمية. وهي ذات أغلبية مطلقة من العرب السنّة، عدا بضع عائلات كردية وتركمانية قدمت من الريف.

نداء الحرية

استجاب أبناء المدينة سريعاً لصيحات الكرامة، وتمكنوا في الثامن من نيسان 2011 (جمعة الصمود)، بعد عدة محاولات فاشلة، من الخروج في أول مظاهرة من جامع الريحاوي وسط المدينة – دمّره القصف الرّوسي 2016 – هتفوا فيها لدرعا وجابوا الشوارع الرئيسية، وقُدّر عدد المشاركين فيها بـ1500 شخص.

توسّعت المظاهرات وازدادت أعداد المتظاهرين. وفي الشهر الخامس هاجمت قوات الأمن مظاهرة حاشدة خرجت من جامع أسامة بن زيد، وفُرّق المتظاهرون بالعصيّ واعتقل عدد منهم. وبعد ساعات تجمع 13 شخصاً أمام مفرزة الأمن الجنائي مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين. لم يستجب الأمن بل هاجم المعتصمين، وما هي إلا ساعات قليلة وإذ بمئات المعتصمين –3 آلاف وفق تنسيقية الباب– يجتمعون أمام المفرزة، ما دفع الأمن إلى الاستجابة وإطلاق المعتقلين بعد ساعات.

بعد أيام حضر محافظ حلب ورؤساء الفروع الأمنية فيها إلى الباب، ودعوا ثلاثين شخصاً من أبنائها للقاء ولمناقشة مطالبهم. رفض 28 من المدعوين الحضور، ولم تتعدّ مطالب الحاضرين تحسين الخدمات (تعبيد الطرق وبناء شبكات صرف صحي). وبعد أيام تلقى المتخلّفون عن الحضور دعوة لمراجعة الأفرع الأمنية.

استنفار أمني

استمرت المظاهرات بطابعها السلمي، ونقلت على الهواء مباشرة، ورافقتها حملات البخ على الجدران وغيرها من النشاطات الثورية. كل ذلك دفع الأمن إلى استقدام تعزيزات لقمع المظاهرات ومواجهتها، فتوزعت باصات «حفظ النظام» على أبواب جوامع المدينة الرئيسية كل يوم جمعة. لكن ذلك لم ينجح في وأد المظاهرات، فلجأ الأمن إلى أفراد من عائلة «خلّو» على خلفية عضوية أحد أبنائها في مجلس الشعب، وقام بتسليحهم بـ«البومبكشن» لقمع المظاهرات، إلا أن عائلات كبيرة في المدينة وقفت في وجههم وحصل اشتباك بالأيدي لم يتطور إلى استخدام السلاح. وإثر ذلك انتهت ظاهرة «التشبيح» في مدينة الباب إلى غير رجعة، إلا أن حملات الاعتقال وإطلاق الرصاص على المتظاهرين لم تتوقف.

دخول السلاح على خط المواجهة

بعد عام كامل من التظاهر السلمي، سقط خلاله العشرات برصاص الأمن، بدأت حالة من الغليان تسود المدينة. وفي جمعة (سننتصر ويهزم الأسد) 20/ 4/ 2012 بدأت أولى مظاهر العسكرة، فقد شوهد ستة مسلّحين لأول مرة في مظاهرات الجمعة. هاجم الأمن المتظاهرين كالعادة وبدأ بإطلاق النار واستشهد ستة مدنيين، فبادر الثوار إلى الرد وقتلوا عدداً من قوات الأمن، فيما استشهد اثنان من حملة السّلاح.

ازداد التوتر بعدها، وعلى خلفية الحادثة اجتمع وجهاء المدينة مع مندوبين عن الأمن واتفقوا على اقتصار وجوده على المربع الأمني، شريطة انسحاب مسلّحي الثوار إلى خارج المدينة.

التحرير الأول

استمر هذا الحال حتى 2012/6/18، عندما شهدت المدينة مظاهرة بالآلاف. وبعدها بأربعة أيام تقدّمت قوة لجيش النظام لأول مرة، منطلقة من معسكر لها عند مدخل المدينة، والتفّ العناصر على مظاهرات الجمعة وفتحوا النار على المتظاهرين بمساندة الطيران المروحي. استشهد يومها الطفل عبد الله كشّة ذو العشرة أعوام، وكانت نقطة فاصلة؛ إذ أعلن بيان مصوّر عن تشكيل كتيبة شهداء الباب، ظهر فيه قرابة 20 مسلحاً ملثّماً.

بعد شهر من الحادثة هاجمت أفواج من المدنيين مقرات أمنية داخل المدينة واستولوا على بعضها، فانسحب عناصر المخابرات الجوية والأمن العسكري وتحصّنوا داخل مبنى البريد، ووصل أفراد من الجيش الحر للمشاركة في المعركة. استسلم بعض عناصر الأمن سريعاً فيما قاوم آخرون بشراسة، بل إن قسماً منهم نزلوا إلى الطابق السفلي من المبنى لتسليم أنفسهم فباغتتهم قنبلة يدوية من زملائهم في الأعلى وأردتهم جميعاً. استمرت المعركة، والمؤازرة بقصف مدفعي من معسكر النظام على تخوم

المدينة، 48 ساعة. وبتاريخ 2012/7/19 تمكن الجيش الحر من الحسم بعد قتل القناص - قيل إنه إيراني- المتمركز على سطح البريد بقنبلة يدوية، لتنتهي المعركة بعد استشهاد أكثر من 17 مدني وعدد من الثوار. اعتلى بعض الأهالي المنفعلين سطح البريد وأخذوا برمي جثث قتلى النظام، في ردة فعل لقتلاهم الذين سقطوا برصاص القناص، فادعى النظام أن ثوار الباب قاموا بإلقاء موظفي البريد من السطح وهم أحياء لأنهم رفضوا الانشقاق! بعد عشرة أيام طُرد النظام من مدرسة الزراعة، آخر معاقله في المدينة، لينتهي دور الجيش الحر فيها وينتقل إلى معارك تحرير مدينة حلب.

إدارة مدنية

قبل التحرير بأسابيع شُكّل المجلس المحلي لمدينة الباب الذي يعدّ من أوائل المجالس المحلية في سوريا. بدأ المجلس بممارسة دوره على الأرض، ثم تم توسيعه بعد مشاورات بين القوى الثورية والفصائل العسكرية. واجه المجلس تحديات كبيرة في إدارة المدينة وتخديمها إلا أنه استطاع، إلى حد ما، تأمين خدمات جيدة في القطاعين الصحي والتعليمي وغيرهما. ويقول باري عبد اللطيف، أحد مؤسسي تنسيقية الباب وضواحيها: «كان لنا دور كبير في تفعيل الحراك المدني والثوري، ولم يكن أي قرار يخص المدينة يمرّ إلا بعد توقيعنا عليه».

أبرز الوجوه

قدمت الباب وجوهاً ثورية بارزة وقادة كان لهم وزنهم وتأثيرهم، من أبرزهم الإعلامي الشيخ زاهر الشرقاط، والقائد العسكري ياسر عثمان (أبو الشيخ)، وشيخ المجاهدين محمد طيب الغزال (أبو الطيب) ذو الثمانين عاماً مع أبنائه، وسلام عثمان، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم. كما قدم أهالي المدينة العديد من الشهداء في معارك تحرير اعزاز وجرابلس ومدينة حلب وغيرها، وكانوا من أوائل من انتصر للقصير وأرسلوا قواتهم إليها، كما هبّوا بأموالهم وأبنائهم للدفاع عن مدينة حلب بعد كارثة سقوط اللواء 80.

سيطرة داعش

في أيلول 2013 تقدم رتل لداعش نحو الباب فاستوقفته الفصائل سائلة عن الوجهة فردّ: وجهتنا الطّبقة بريف الرقة. إلا أنه توجه إلى أوتوستراد منبج، ومنه إلى بزاعة، ثم التفّ في اليوم التالي من جهة الشرق ودخل الباب من الخلف وسط هتافات «دولة الإسلام باقية».

وبدأت مضايقات الناشطين واتهام الفصائل بالردة والعمالة، وبث شعارات «تحكيم الشرع» ومحاربة اللصوص والمفسدين، كما بدأ شرعيّو داعش بالاستيلاء على المساجد والمنابر. وسادت حالة من التذمر بعد مهاجمة وقتل بعض أفراد الجيش الحر والسيطرة على مقراتهم بدعاوى مختلفة.

اتخذ التنظيم من مدرسة البحتري مقراً له وطالبه الأهالي بالخروج منها لمتابعة التعليم فيها. ثم تعرض المشفى الميداني الملاصق للمدرسة إلى قصف أودى بحياة 13 شخصاً جلّهم أطباء، ما دفع الأهالي إلى التظاهر ضد وجود التنظيم، لكنهم قوبلوا بإطلاق الرصاص في الهواء. تدخلت بعض كتائب الجيش الحر وساندت المدنيين، مما أدى إلى إصابات بين الطرفين، وتفاقمت الأمور إلى أن تدخلت جبهة النصرة وحركة أحرار الشام، وتم الاتفاق على انسحاب داعش إلى أطراف المدينة، لكنها ظلت تتردد إليها لتخطف بعض الأشخاص الذين لم يعرف مصيرهم حتى الآن، ومن أبرزهم أفراد كتيبة النصر مع قائدها «عمر أبو عبيد».

وفي مطلع كانون الثاني 2014 وصل رتل لـ«عمر الشيشاني» إلى قرية «الشماوية» التي تبعد 3 كم عن الباب، بعد اتفاق مع أبو خالد السوري القيادي في أحرار الشام، سمح بموجبه للتنظيم بالمرور من أمام مطار «كشيش» العسكري الذي يسيطر عليه الأحرار. سرعان ما طوّق الرتل الباب، وسيطر على صوامع الحبوب، أتبعها بتفجير مفخخة عند مدخل المدينة، كما استطاع خلال ساعات السيطرة على «تادف» المحاذية دون أدنى اشتباك. بدأت حرب عصابات داخل الباب في معركة غير متكافئة، فعناصر داعش منظمون ومن المقاتلين الأجانب فقط، أما الحر فمعظمهم من رجال الشرطة والأمن العام داخل المدينة، إذ كان معظم المقاتلين مشغولين بمعارك خارجها، كما أسهم تردد بعض الفصائل في قتال التنظيم في إضعاف الجيش الحر. وبسطت داعش سيطرتها على المدينة في الثالث عشر من كانون الثاني 2014.

شعبية داعش في الباب

تُعدّ الباب من أكثر المدن والقرى المحافِظة، وقد خرّجت عشرات العلماء والمشايخ، ويشكل أبناؤها أكبر نسبة من طلاب الثانويات الشرعيّة بين المدن والقرى المجاورة. ولذلك رحّب البعض بالتنظيم بداية الأمر، إلا أن الأيام كانت كفيلة بكشف حقيقته وتعرية شعاراته المزيفة. ومرّت أيام وشهور وبدأ بعض أبناء المدينة يدفعون آلاف الدولارات للمهربين لإيجاد طريق آمن لهم للخروج منها!

التحرير الثاني

في 23 شباط 2017 تمكنت فصائل الجيش السوري الحر -المدعومة تركيّاً- ضمن المرحلة الثالثة من عملية «درع الفرات»، من طرد داعش من مدينة الباب، أبرز معاقلها شرقيّ حلب.

لم يكن تحرير الباب سهلاً، فقد حاولت داعش -خلال خمسة أشهر من المواجهات- تثبيت خطوط دفاعها عبر تكثيف الألغام والمفخخات والأنفاق بين الأحياء، ما أعاق تقدم الثوار بشكل كبير، إضافة إلى استخدامها الصواريخ المضادة للدروع وتدميرها العديد من الدبابات والآليات التركية والسورية، في حين لم يُبِد التنظيم، على الجانب الآخر، مقاومة تذكر لقوات النظام التي دخلت عشرات القرى حول الباب دون خسائر ولا مفخخات.

يقدّر عدد شهداء الباب بـ1900 قبل دخول التنظيم، وبعد سيطرته تجاوز العدد 4 آلاف نتيجة القصف والإعدامات، بعد تقدّم درع الفرات استشهد قرابة 480 من أبناء المدينة معظمهم مدنيون جراء القصف والمعارك وانفجار الألغام من مخلّفات داعش.

أطراف مدينة الباب بعد التحرير - خاص

الشرطة الحرّة في ريف حلب...

بين الحاجة والنجاح و«جسر العبور»؟

مصطفى حسين

منذ بدأت عملية «درع الفرات» التي تقودها فصائل الجيش الحر المدعومة تركياً، في أيلول 2016، بالسيطرة على مدن وبلدات وقرى في ريف حلب من قبضة تنظيم الدولة، أخذت الحكومة التركية بتدريب فريق أمني ليتولى مسؤولية هذه المناطق المحررة، فكانت الشرطة الحرة التي تُعرف الآن باسم «مديرية الشرطة والأمنيات».

أسباب كثيرة دفعت إلى الاعتماد على الشرطة، بحسب عناصر يعملون فيها، منها أن فصائل الجيش الحر في حالة اشتباك مستمر مع تنظيم الدولة و«قوات سوريا الديموقراطية» (قسد)، وهي بالتالي غير قادرة على الإمساك بزمام الأمور الأمنية وحل نزاعات الأهالي، فضلاً عن غياب خبرتها في هذا الشأن، وانتشار الفساد بين عدد من عناصرها.

الشرطي محمد أحمد، الذي يتلقى دورة في مدينة مرسين التركية، قال لـ«عين المدينة» إنه تم اعتماد اسم «مديرية الشرطة والأمنيات» بدلاً من «الشرطة الحرة»، وتتبع لها مراكز الشرطة والجهاز الأمني. وأضاف أن مهام الجهاز الأمني، إضافة إلى العمل على الحد من الجرائم وحفظ النظام وتنظيم المرور، هي تولّي زمام العمل الأمني الذي كان مناطاً بالأجهزة الأمنية التابعة للفصائل والكتائب.

وأشار محمد إلى أن لجهاز الشرطة الجديد «أعداء داخل المنطقة وخارجها يعملون للحيلولة دون نجاحه». ويوضح أن قوات النظام، التي باتت قريبة، وقسد وداعش، ستعمل على عدم استقرار المنطقة المحررة، وكذلك «المنتفعون من الفوضى الأمنية السابقة»، كالمهربين والعصابات التي تسرق باسم الجيش الحر.

ويضيف محمد أنه نتيجة لذلك تم تشكيل جهازي «القوات الخاصة» و«الحراسة والدوريات» التابعين للشرطة الحرة. وأكّد أن الملتحقين بهذين الجهازين يحتاجون إلى دورات مكثفة خاصة مدتها 25 يوماً، يتعلم خلالها المتدرب مبادئ الدفاع عن النفس وبعض مهارات الرمي، لكن هذا، برأي محمد، «غير كافٍ لبناء رجل الأمن، مما يستدعي القيام بدورات إضافية». وتداركاً لقصر مدة الدورة واقتصارها على التدريبات الأساسية، قال محمد إنه سيتم الاعتماد على «العناصر المنشقة عن شرطة النظام ريثما يستوعب المنضمون حديثاً لهذا الجهاز مهامهم وطريقة القيام بها». لافتاً إلى أهمية الاستفادة، في الوضع الراهن، من عدد العناصر الكبير نسبياً والذين سُلحوا من قبل تركيا، ما أدى إلى انتشار أمني واسع.

وشرعت الشرطة الحرة في ريف حلب المحرر حديثاً في نشر تقارير شهرية عن نشاطاتها، فنشر مكتبها الإعلاميّ بياناً على فيسبوك يشير إلى تصديها لعدد من جرائم القتل والشروع بالقتل والسرقة والمشاجرات وجرائم أخرى خلال شباط الماضي، وصل عددها إلى 1375 جريمة.

ورغم هذه البداية الواعدة يشتكي بعض عناصر الجهاز من مشكلات سرعان ما طفت على السطح، أبرزها، على حد قولهم «منح رتب عالية لعدد كبير من العناصر بشكل لا يتناسب مع المعايير العسكرية، ما يعني تسليم زمام الأمور لمن لا خبرة له في المجال الأمني، وتهميش ضباط وعناصر الشرطة المنشقين، ما يؤدي إلى حالة من الفوضى والتلاعب بالشؤون الأمنية مستقبلاً». أحد العناصر العائدين من دورة في مدينة أضنة التركية، فضل عدم الكشف عن اسمه، قال لـ«عين المدينة»: «الذي يملك واسطة يُعيَّن مديراً، بينما يوضع البسطاء على الحواجز في مواجهة مفخخات داعش».

من ناحية أخرى أكد عناصر من الشرطة أن نجاح المشروع يرتبط بشكل أساسي باستمرار الدعم المالي التركي، حتى تتمكن قيادة الشرطة من الاعتماد على «موارد محلية» لدفع الرواتب. ويخشى مراقبون أن يكون الهدف من تشكيل هذا الجهاز وتجنيد آلاف العناصر في صفوفه هو استخدامهم كـ«جسر عبور» للنفوذ التركي داخل الأرض السورية، خصوصاً مع انتشار مقاطع في يوتيوب تظهر عناصر من هذا الجهاز يهتفون بحياة الرئيس التركي أردوغان أثناء تدريباتهم. وتسعى تركيا إلى تدريب خمسة آلاف شرطي، وفق ما ذكرت صحيفة «يني شفق» المقربة من الحكومة التركية.

وذكر مصدر محلي أنه، مع عودة عناصر الشرطة من دوراتهم التدريبية إلى اعزاز مطلع آذار الماضي، دخلت آليات ومدرعات محملة بعناصر من الجيش التركي، وهو ما يعني، بحسب المصدر، أن «فصائل الجيش الحر والشرطة أصبحت بلا قيمة، فالمهيمن على المنطقة والفارض شروطه وأوامره هو الجيش التركي». ويؤكد هذا المصدر أنه لا بد من نشر جهاز أمني في المناطق المسيطَر عليها مؤخراً شمالي سوريا، تكون مهمته وضع حد للفوضى، وإبعاد الفصائل العسكرية عن التدخل في شؤون المدنيين، لكن «هذا يجب ألا يكون من خلال تحكم تركيا في الأمور الداخلية وفرض سياسات تخدم مصالحها فقط، لا ولن يتقبلها السوريون، وإن اختلفت مواقفهم من السياسة التركية على أراضيهم».

في إدلب..
متاجر المواد الغذائية مهنة العاطلين عن العمل

مريم أحمد

من مدينة إدلب - خاص عين المدينة

إدلب محافظة فاعلة، ينتشر أبناؤها في كل المحافظات السورية لأنهم مصدر كبير لليد العاملة والحرفية، إضافة إلى تمتع العديد منهم بمؤهلات وخبرات خاصة، وبينهم أعداد كبيرة من الكفاءات العلمية التي كانت تشغل العديد من المناصب الحساسة في الدولة، إذ إن نسبة كبيرة من الموظفين الحكوميين هم من أبناء هذه المحافظة.

يصح هذا الكلام قبل اندلاع الثورة، أما اليوم فالوضع مختلف تماماً، فأغلب هؤلاء الموظفين والعمال والحرفيين عادوا إلى محافظتهم خوفاً من الاعتقال التعسفي بعدما أصبح الإدلبي «مصدراً للشكوك» في المناطق التي يفرض النظام السوري سيطرته عليها، وكثيراً ما يشعر بعدم الترحيب، الأمر الذي أدى إلى عودة معظمهم إلى ربوع المحافظة الخضراء. ونتجت عن هذا الأمر حالة كبيرة من البطالة ونقص فرص العمل، مما دفعهم إلى التفكير في البحث عن أعمال بديلة.

صعوبة تأمين فرص العمل

كثيراً ما يضطر الموظف المنشق عن النظام إلى اللجوء إلى مهن لم يعتد عليها، كتقطيع الحجارة أو جمع الحطب أو أعمال البناء والإنشاءات أو النجارة والحدادة وبعض الحرف الدقيقة، ويظل يعاني من صعوبة التأقلم مع هذه الأعمال لأنه موظف مكتبي سابق، ولكنه مضطر إلى مزاولتها لتأمين قوت عائلته اليومي. ولكن الملاحظ على نطاق واسع لجوء كثير من هؤلاء الموظفين السابقين إلى إقامة مشاريع ربحية صغيرة، كفتح متجر لبيع المواد الغذائية، لأن هذه المهنة لا تحتاج إلى مجهود كبير، إضافة إلى سهولة مزاولتها. ولكن الملاحظ في الآونة الأخيرة كثرة انتشار هذه المحال بكثافة شديدة إلى درجة نستطيع فيها القول إن «الدكان صار ملاصقاً للدكان»، الأمر الذي خلق مشاكل جديدة.

أبو منير (38 عاماً)، موظف سابق في حلب، يزاول هذه المهنة بعد عودته إلى مدينته حارم في ريف إدلب الشمالي، ويتحدث لـ«عين المدينة» عن هذه النقطة بالقول: «أنا، كموظف سابق، كنت أعمل في وظيفة إدارية مصنفة ضمن الأعمال المكتبية، وأعمل اليوم كبائع في محل لتجارة المواد الغذائية. فبعد عودتي من حلب إلى حارم كان لا بد لي من البحث عن عمل بديل، فعملت أولاً في مجال قطع الأخشاب ونقلها، ولكني عانيت الأمرّين من هذا العمل المجهد، ولذلك لجأت إلى فتح هذا المشروع الصغير كي أوفر على نفسي الجهد الكبير والتعب الشديد جراء الأعمال الثقيلة، ولكن المفاجأة كانت في ضعف مردود هذه المهنة الخفيفة».

مشاكل ظاهرة بيع المواد الغذائية

جاء لجوء الأهالي إلى مزاولة هذه المهنة نتيجة أسباب أشرنا إليها في البداية، ولكن يجب تسليط الضوء على المشاكل التي ولدتها هذه الظاهرة، والتي تأتي في مقدمتها كثرة العرض وقلة الطلب. فعدد المحال التجارية صار كبيراً جداً ولا يتناسب مع عدد السكان في أي مدينة أو بلدة في المحافظة. وهذا ما حدثنا به عبد الكريم ابن مدينة سلقين: «أنهيت مشروعي الصغير هذا. في البداية كان عدد المحال التجارية متناسباً مع عدد السكان، ولذلك كان الدخل اليومي لهذه المشاريع جيداً، أما اليوم فالدكاكين منتشرة بشكل كبير، والعرض كثير والطلب محدود، لذلك قمت بإلغاء مشروعي الذي بات عبئاً على كاهلي. حقاً هي «شغلة اللي ما عندو شغلة»».

ولكن رغم هذه المشكلة التي تولدت مع انتشار هذه الظاهرة في المحافظة الخضراء، إلا أن العديدين ما زلوا مصرين على مزاولتها نظراً لضعف فرص العمل، على مبدأ المثل الشعبي الشهير: الرمد أهون من العمى.

الباعة الجوالون في الطرقات

تشهد أسواق مدينة إدلب ازدحاماً شديداً، وبالأخص بعد توافد المهجرين قسراً من مناطق مختلفة في سورية إليها. فأينما مررت تجد الباعة الجوالين هنا وهناك، وعلى قوارع الطرقات في ما يسمى «البسطة» التي تباع عليها مختلف البضائع، وفي مقدمتها المواد الغذائية والمعلبات، فيتوافد الناس لشرائها نظراً لانخفاض سعرها عن مثيلاتها في المحال التجارية، لأنها -وبحسب ما صرح أحدهم- من الإعانات الإغاثية التي ترسل إلى الشعب السوري، ولكنها تصل إلى الأسواق بطريقة أو بأخرى.

قمحانة... البلدة التائهة

راشد محمد علي

يثير الولاء الظاهر من أهل بلدة قمحانة (15 ألف نسمة/ 7 كم عن حماة) لنظام بشار الأسد، وقتالهم المستميت إلى جانبه، أسئلة قد تقود إلى فهم أعمق لهذه البلدة السنّية التي تعد اليوم بحق، قلعة الأسد المدافعة عن مدينة حماة.

في آذار ونيسان 1982، بعد أن ارتكبت قوات حافظ الأسد مذبحتها الكبرى في حماة، كوفئ بعثيون ومخبرون ومجرمون من فقراء قمحانة بنصيب من فتات الغنائم الذي تركته سرايا الدفاع بعد استباحتها المدينة، وفي الوقت عينه ساعد شبان من البلدة بعض الهاربين من المذبحة وفي توصيل دواء وغذاء للمنكوبين العالقين فيها. وخلال تلك السنوات لم تسلم قمحانة ذاتها، اذ لوحق خريجون وطلاب جامعيون من أبناء عائلتي عجاج وشهاب وعائلات أخرى، مات بعضهم تحت التعذيب بعد الاعتقال أو قضوا سنين طويلة فيه، وهرب آخرون إلى الأردن والسعودية ودول أخرى ما زالوا فيها حتى الآن. كان لمحنة هاتين العائلتين –وهما الأكبر في قمحانة– أثر في اتخاذهما موقف الحياد حين اندلعت الثورة، عبرة من الماضي الأليم. بخروج العائلتين من المشهد، ثم بانقسام عائلات أخرى كبيرة (العمر، عبد الرحمن، سودين) بين معارض ومؤيد ومحايد، ضعفت الكتلة العديدة المفترض أن تحمل الحراك الوليد وتحميه أمام عائلات مؤيدة، كبرى وذات ثقل (طماس، سباهي، رجب) أو أقل أهمية (كشتو، عثمانلي، علي هي، السخني) نجحت في وأد ثورة قمحانة باكراً.

سباهي، صعود من القاع

بين العائلات الموالية شكل آل سباهي رأس حربة ضد المتظاهرين من جوامع البلدة، جامعين حولهم أرباب سوابق و طامعين في المكاسب وأميين دفعتهم السذاجة إلى تصديق دعاية النظام، قبل أن ينضم إليهم آخرون دفعاً للشبهات واتقاءً لشرورهم. قاد نبهان سباهي، وهو ضابط أمن متقاعد، هذه المجاميع وأسس منها أول الميليشيات المسلحة التي سحقت مظاهرات قمحانة، ثم امتد دورها إلى بلدات طيبة الإمام وصوران وحلفايا وخطاب في الريف المجاور. آل سباهي من العائلات حديثة الصعود في مجتمع قمحانة، ولم تكن لهم أهمية تذكر قبل عام 1980، حين صار المقدم نبهان رئيساً لفرع أمن الدولة في محافظة إدلب وأسهم بفعالية في اجتثاث الإخوان المسلمين والمتعاطفين معهم، لتطلق يده يفعل ما يشاء بعد ذلك، فبنى ثروة هائلة أسهمت –إلى جانب سلطته– في صعود أشقائه، حسن أمين إحدى شعب حزب البعث في حماة آنذاك، وإبراهيم ومحمد، ثم أبناء السباهي ككل، الذين أوفد بعضهم في مهمات تجسس على بقايا الإخوان المسلمين الهاربين إلى أوربا والخليج.

تقول الروايات إن جد عائلة السباهي جاء من قرية عين قضيب (العلوية) بريف طرطوس قبل قرن أو أكثر. وإن هذا الأصل شكل لأبنائه عقدة نقص مستحكمة، حولها الفلاح الفقير وسمسار

احتفال بفك الحصار عن مطار كويريس في قمحانة – 2015

المواشي عبد الرزاق والد نبهان إلى تصميم على تعليم أبنائه، وحولها الأبناء تابعية منقطعة النظير للسلطة وحرصاً على جمع المال، لينضموا أخيراً إلى طبقة الوجهاء. ولم يأخذ أي من أجيال العائلة على محمل الجد –إلا بما تمليه المصلحة– الأهواء السياسية المتعاقبة على قمحانة بحكم موقعها الملاصق لمدينة حماة، من الإخوان، أو الاشتراكية العربية على هدى أكرم الحوراني الذي أثر في كثير من متعلمي البلدة، أو الناصرية التي استمرت على نسخ عدة حتى وصلت إلى الجيل الحالي على خط فايز إسماعيل. ولم يكن لكل هذه المشارب السياسية أي أثر نافع أول الثورة بل على العكس، فقد اتحدت لصالح النظام بطرائق مختلفة، خوفاً من تكرار الماضي لدى الإخوان، وتوهماً بالمؤامرة لدى الباقين. وفي البلدة التي لا يمكن وصفها بأنها بلدة فقيرة، إذ زاوج أبناؤها بين زراعة الأرض والوظائف الحكومية؛ راج بين أهلها رأي عام يقول إن «الدولة» لم تقصر عليهم في شيء ولا سبب للوقوف في وجهها. دون أن تغيب استثناءات هامة وكثيرة جسدها ثوار قضى بعضهم تحت التعذيب، ومقاتلون في الجيش الحر، ونشطاء يتذمرون من التعميم الظالم الذي يجعل كل القماحنة شبيحة.

شيعة قمحانة وطراميحها

رغم ما تعرضت له عائلة سودين من قمع في الثمانينات على خلفية انتماء بعض أبنائها إلى الإخوان، اعتنق –في العقد التالي– أبناء فياض سودين، محمد وحسين وحسن، المذهب الشيعي أثناء عملهم في الضاحية الجنوبية لبيروت بتأثير من رجل دين اسمه عماد الموسوي. وبتوجيه من الموسوي الذي زار قمحانة عدة مرات، وبتمويل منه، قاد الأخوة حركة تشيع اتسعت في عهد بشار، حتى وصل عدد المتشيعين العلنيين إلى نحو 100 في العام 2010. وبهؤلاء، ثم بمن تشيع خلال الثورة، شكل حزب الله اللبناني لواء أبو الفضل العباس بقيادة حسين فياض سودين (أبو محمد الباقر) وخلفه بعد مقتله أخوه عبد الكريم.

في القطاع الأوسع من مؤيدي قمحانة سطع مبكراً نجم ضابط المخابرات الجوية سهيل حسن «النمر». وبشراسته وسلطته غير المحدودة ثم تودده وتواضعه لأبناء قمحانة إلى درجة رفضه أن ينادى منهم بـ«سيدي» (لأنهم أخوة)؛ سلب سهيل قلوب الشبيحة في البلدة وأصبح أباً روحياً لهم. وحين أطلق على قائد ميداني منهم لقب «الطرماح» (الطويل) وعليهم «طراميح»، وفق هوس «النمر» بالعربية الفصحى، ظنوا أنهم من آل بيت النظام وأن الثورة قامت ضدهم.

ضمور الأقسام الثقافية في صحف الثورة

مصطفى أبو شمس

في جولة بسيطة على صحف الثورة السورية يُلاحَظ غياب اللغة الثقافية والأدبية، وخصوصاً الشعرية، والتركيز على تغطية المآسي والمذابح والتطورات الميدانية والسياسية، أو مناقشة المشكلات الخدمية والحياتية بشكل عملي ومباشر.

عُرف عن العرب على مر التاريخ حبهم للاستماع وتأثرهم باللغة، فما الذي حدث حتى تغير هذا؟ ومن يتحمل المسؤولية؟! أهي الموادُّ التي يقدمها الكتّاب؟ أم تحول المجتمع نحو الفنون البصرية والتقارير الإخبارية وتركه القراءة غثها وسمينها؟ أم توجه الصحف الثورية -تلبية لشروط داعميها- إلى التركيز على الواقع السياسي والحياتي وتجاهل ما سواه؟

ولماذا تجتاحك، في هذه الصحف وسواها من المنابر الإعلامية، الصور المتعبة ومشاهد الفيديو المليئة بالدم، ويبدو فعل الكتابة هزيلاً جداً لا يفضي إلى مكان، ويغدو فعل القراءة أيضاً ترفاً تختصره هذه المواقع والمجلات بمقدمة صغيرة تحكي فيها كل ما تريد قوله تلبيةً لملل القارئ، وتجنباً لسرد الأديب الذي لا ينتهي؟

للإجابة عن هذه الأسئلة تواصلنا مع أدباء وصحفيين للاطّلاع على وجهة نظرهم بهذا الخصوص.

يبدو مصطفى تاج الدين الموسى، وهو كاتب سوري له خمس مجموعات قصصية ومسرحيتان ترجم بعضها إلى لغات عدة، أكثر هؤلاء الأدباء حظوة، فقد نُشرت الكثير من قصصه في صحف الإعلام البديل، وسُلطت الأضواء عليها، على عكس أدباء آخرين لم يجدوا إلى الآن مكاناً لهم في الصحف البديلة.

ويعزو القاص ذلك إلى أن معظم هذه المشاريع الإعلامية كانت «مغامرة» تفتقر إلى «المختصين في مجال الأدب وحتى الإعلام»، رابطاً ذلك بـ«الإمكانيات البسيطة والظروف غير الطبيعية التي نشأت فيها هذه الصحف، لأنها ابنة بيئتها وظروفها السيئة». فتسارع الأحداث الميدانية والسياسية جعل من الصعب الوقوف على كافة الأحداث وأدى إلى تجاهل دور الأدب والأدباء، حسب رأي الموسى الذي يؤكد، رغم ذلك، على أن الكتّاب والمثقفين مطالبون بدعم الإعلام البديل وصحف الثورة والوقوف إلى جانبها لتتطور مع الزمن، حتى لو كانت لا تواكب كل التطورات الثقافية أو تفتقر إلى مقومات الإعلام.

من جهته يرى الشاعر والكاتب فايز العباس أن السبب الرئيسي لغياب الأدب وخصوصاً الشعر عن الإعلام البديل يعود إلى «تبني هذا الإعلام الشكل التقريري في مواكبة الثورة، وهذا ما استدعى -في رأيه- التركيز على الحالة السياسية والعسكرية، لأن الأدب يعتبر ترفاً بالنسبة إلى المواطن بحالاته المتعددة «نازحاً، مهجراً، محاصراً، منكوباً». ويعتقد العباس «أن هذا الإعلام، غير الحِرَفي بطبيعة نشوئه المرحلية، آثر الابتعاد عن هذا الجانب الذي لا يقل أهمية عن الكثير من الجوانب والوجوه الأخرى للثورة».

وعن غياب الأسماء الأدبية عن الساحة الثقافية، وفي سؤال للشاعر عن إمكانية نجاح إعلام لا يدعم أبرز أدبائه قال: «أغلب الإعلام السوري البديل -للأسف- إعلام موّجه ومُجيَّر وناشئ عن التمويل السياسي، ولأن الهيئات السياسية لا يعنيها في المحصلة سوى أن تعتمد منابر لتمرير فكرها ومشروعيتها فإن وجود الأصوات الحقيقية ليس ضمن توجهات هذه الأحزاب التي نمَت كالطحالب على جذع الثورة. الأدب مرآة فاضحة، وهذه الأحزاب في غنى عن تمويل ما مِن شأنه فضح تجاوزاتها بحق الإنسان السوري عموماً، وبحق الثورة بشكل خاص».

وفي إجابته عن السؤال ذاته قال صادق عبد الرحمن، وهو كاتب صحفي ومحرر في موقع مجموعة الجمهورية: «إذا كنت تلمّح إلى أن هناك تقليلاً متعمداً من شأن الأدب والشعر والنتاج الإبداعي في زمن الحرب والموت السوري فلا أعتقد أن هذا صحيحٌ تماماً».

إذ يعزو عبد الرحمن غياب الجانب الأدبي في صفحات الثورة إلى عاملين؛ أولهما التغيرات الميدانية والسياسية المتسارعة واليومية، والتي لا تتيح المجال واسعاً للاهتمام بالأدب، وربما يكون هناك اعتقاد سائدٌ لدى الكتاب والصحفيين أنفسهم بأن هذا ليس زمن الأدب والشعر. وثانيهما أن «معظم هذه الصحف والمجلات، المطبوعة منها والإلكترونية، ليس لديها تمويل ذاتي وهي تعتمد على جهات مانحة، والأرجح أن تلك الجهات مهتمة بتمويل الجوانب الصحفية والإخبارية والاستقصائية والخدمية أكثر من اهتمامها بدعم النتاج الأدبي».

ويضيف في النهاية عاملاً ثالثاً هو «رغبة أو احتياجات الجمهور نفسه»، إذ يعتقد أن النسبة العظمى من القراء تحتاج إلى معرفة التطورات السياسية والميدانية أكثر من حاجتها إلى الأدب. ويرى أن الاهتمام بالحالة الأدبية يحتاج «إلى تمويل ذاتي ورخاء من نوع ما»، وهذا غير متوافر لدى أغلب الصحف والمواقع التي نشأت في زمن الثورة، إن لم يكن جميعها.

إلفيرا كارييفا
عروس داعش المغدورة

الصورة تعبيرية

د. علي حافظ

لم تجذب داعش الشباب والرجال فحسب، بل الفتيات والنساء أيضاً؛ ليصبح الفردوس الإسلامي المفقود، بين عامي 2014 و2015، قبلة كل الحالمين والحالمات بالعيش في ربوع أراضيه. ومن اللواتي رغبن جداً في القدوم إلى هناك الشيشانية إلفيرا كارييفا، التي تحملت الصعاب والمشقات والمخاطر من أجل العيش في «الدولة الإسلامية» عام 2015.

ولدت إلفيرا في مدينة قراتشايفسك 1988، وعاشت مع والديها حتى عمر خمس سنوات، ثم مع والدها بسبب طلاقهما، لكنه سرعان ما توفي لتنتقل إلى العيش مع جدتها. أنهت إلفيرا المدرسة بدرجات جيدة، ثم درست في أكاديمية شمال القوقاز الحكومية للعلوم الإنسانية والتقنية.

حضرت إلفيرا وشقيقتها دورات لتعليم القرآن وهي في المدرسة، بعدما أرسلتها جدتها إلى هناك؛ حيث تواصلت مع أحد حاملي الفكر الإسلامي الجهادي. استمرت علاقتهما لوقت طويل حتى قُتل في عملية خاصة لقوات الأمن الروسي. في تأبينه التقت إلفيرا مع صديقه، الذي كان مطلوباً للأمن الروسي أيضاً، وتزوجا عام 2007. عاشت معه في الغابات لمدة خمسة أشهر وتحملت شتى أنواع العذاب والخوف، ثم أنجبت منه ابنة. قتلت قوات الأمن الروسية الرجل بعد ذلك، ليتهم أقاربه إلفيرا بالوقوف وراء مقتله، لكن دون أدلة.

منذ تلك اللحظة بدأت شائعات التعامل مع المخابرات الروسية تلاحق إلفيرا. ولكن هذا لم يمنع زواجها ثلاث مرات متتالية من أعضاء في الجماعات الإسلامية الراديكالية القوقازية، كان آخرهم عليم زانكيشيف، أمير ديوان الخدمة المدنية حينذاك، الذي لم يقرر الزواج منها فور تعرفه إليها خوفاً من التجسس على عروسه وجعلها طعماً له.

جُرحت إلفيرا واعتقلت إثر عملية روسية عام 2012، قتل خلالها خمسة مقاتلين وزوجة أحدهم. أقر بعض رفاقهم بأنه هنا -أثناء اعتقالها على ما يبدو- حاول الروس تجنيدها. قتل زانكيشيف عندما كانت إلفيرا في السجن، لتتزوج مجدداً وبسرعة مذهلة من إسلامي آخر محكوم بالسجن أيضاً. بعد الإفراج عنها وُضعت تحت مراقبة الشرطة الروسية والمقاتلين الشيشان في آن معاً. ولذلك أخذت ابنتها وذهبت إلى تركيا، ومن هناك انتقلت إلى مناطق داعش، لتتزوج مرة أخرى من الجهادي علي (أبو مسلم) ابن منطقة قبردينو بلقاريا الروسية، الذي ادعت داعش أن إلفيرا سممته.

على الأرجح، بدأت أجهزة داعش الأمنية تشك في تجسسها بعد فترة وجيزة من وصولها، عندما أعطى بعض المقاتلين القوقازيين معلومات عنها للأمنيين، ليتم احتجازها والتحقيق معها. نفت إلفيرا كل شيء، لكن إرسال مقاتلين أنغوشيين شريطاً مسجلاً لحديثها مع المحققين أثناء الاستجواب، زُعم أنه يثبت تورطها بالعمالة للمخابرات الروسية، جعل التنظيم يحكم عليها بالموت.

من الواضح أن الأمنيين الروس حاولوا تجنيدها، مثلما يحاولون تجنيد جميع المعتقلات من هذا الوسط تقريباً. لكن من الصعب جداً تخيل أن إلفيرا يمكنها القيام بمثل هذه المهمة الخطرة، لا سيما وقد اصطحبت معها ابنتها. على الأرجح، حاول شخص ما من أمنيي داعش «فك لغز المرأة الشيشانية» التي قتل جميع أزواجها وبقيت على قيد الحياة مثيرة الشكوك، ليحصل على مكافأة مالية سخية قد تصل إلى خمسة آلاف دولار. أو أن مقاتلي داعش القوقازيين، ويشكلون لوبياً قوياً ومؤثراً في التنظيم، قرروا التخلص منها بطريقة أو أخرى كي لا تكشف حقيقة ارتباط بعضهم بالمخابرات الروسية، وإلا كيف تم تسريب شريط التحقيق إلى داعش؟!

أحبت إلفيرا الجهاد والمجاهدين، وأرادت دائماً أن تكون زوجة مجاهد. وهذا أمر طبيعي في علم النفس الجنسي، لأن المرأة في كثير من الأحيان تعتاد نموذجاً واحداً من الرجال، وفي حال فقدانه تحاول العثور على شبيه له وتقترن به، ليصبح الأمر بعد ذلك أقرب إلى المتلازمة المرضية.

كانت كاريبفا امرأة يتيمة وأرملة وحيدة ذهبت لترتب حياتها من جديد، لأن حياة النساء اللواتي أدين أزواجهن بالانتماء إلى تنظيمات إسلامية سرية ممنوعة في روسيا تكاد لا تطاق، إذ يوضعن تحت المراقبة، ويتم احتجازهن بشكل منتظم، وتفتيشهن دائماً، ويجدن صعوبات كبيرة في الحياة، ويواجهن عقبات لا يمكن التغلب عليها تقريباً أثناء محاولة البحث عن عمل أو وظيفة أو استئجار شقة. وكذلك تظهر مشاكل لدى أطفالهن في المدارس، والكثيرات منهن لا يحصلن على مخصصات الدولة للأطفال، وبالكاد يكافحن من أجل البقاء على قيد الحياة... إنهن يائسات محبطات، وعلى استعداد للهرب «حتى إلى سطح القمر».

لا يمكن الهيام بمدينتين

مصطفى خطيب

نحتها الفنان السوداني محمد حسين على شواطئ مرسيليا

حين ولدتُ وصفعتني «الداية أم أحمد»، قالت لي أمي إني لم أبكِ ككل الأطفال الراغبين في العودة إلى بطون أمهاتهم، بل فتحت عيني وتفحصت المكان، ثم غرقت في بكاء طويل. منذ ذلك الوقت وأنا أستحضر هذا المشهد كلما انتقلت من مدينة تسكنني مصادفة ودون اختيار لأنتقل إلى أخرى، حتى لو كان ذلك مروراً مؤقتاً، أشعر بصفعة «أم أحمد» وأشعر أني أريد البكاء من جديد.

هذه المرة لم يكن الحنين إلى أمي هو ما يشدني ولم يكن ألم مكان الصفعة، بل المنافي التي فرضت علينا وجنبتنا أن نحب المدن التي نمر بها.

كانت زيارتي الثانية إلى اسطنبول وأدركت أني أحفظ الكثير من شوارعها دون دراية، أليست المدن من يسكن سا كنيها ؟

في مفرداتي الضيقة لا يعدّ الخروج من مدينة ما مغادرة، وإنما البقاء بين ملامحها مهما تغيرت الأمكنة. فحلب ما زالت تطغى بذاكرتها الجميلة على كل ما أشتهيه حين أريد الصمت أو التأمل او الوقوف مع الذات، وحتى حين أريد مقارنة زمن الثورة بين المدن السورية.

حين دخلت اسطنبول، بعد رحلة استمرت سبع عشرة ساعة من منفاي في مدينة كيليس الحدودية، لم تكن مراقبة الطريق ما يشغل بالي. وجدت الطريق فسحة للتفكير في كيليس ذاتها وكيف بات شرطاً على القادمين إليها ليس تعلم اللغة التركية بقدر ما تعلم لهجة حلب ومصطلحاتها وطعامها وعاداتها الاجتماعية، التي سيطرت على المدينة بكاملها. وكان هناك شعور آخر أردت الهروب منه، هو تحول الذاكرة من حلب إلى كيليس رغم محاولاتي الكثيرة في أن أهز رأسي مراراً للتخلص من ذلك.

هل بات على السوري أن يحمل مفتاح بيته وألبوم صور لمكانه ووجه جدته ليستعيرها حين يريد الدلالة على نفسه؟ هربت من فكرة اللاانتماء تلك إلى جهاز موضوع على الكرسي المقابل لمكاني لأقتل الوقت باللعب.

حين تنزل من الحافلة في الكراج تجد أمامك صورتين كتب على إحداهما «نعم» وعلى الأخرى «لا»، متلاصقتين بطريقة غريبة، وهما إعلانان بالقبول والرفض للاستفتاء الذي سيحدث في تركيا على تعديل الدستور. لا أخفي في العادة إعجابي بذلك المفهوم الذي يسمح لك بقول ما تريد وفعل ما تشتهي، ولكني في تلك اللحظة تذكرت مرة أخرى صفعة «أم أحمد» لا لتمنعني من العودة بل لتجبرني على البكاء كيف أن «لا» واحدة خلفتنا جميعاً بين مقتول ومعتقل ومنفي.

اسطنبول مدينة عظيمة. بدا صديقي الذي رافقني في شوارعها مستغرباً لكثرة المساجد حين رحنا نقلب تاريخها العتيق، ونوجد الأشياء التي نبرر من خلالها ما كان يرتكب أمامنا من ترف في الجمال لا يقاوم، لم أستطع معه إخفاء دهشتي لمدينة هي ليست حلب وليست قلب أمي.

وأنت تمر في شوارع المدينة، التي يتجاوز عدد سكانها أهل وطني كاملاً، تلاحظ الاختلافات الجذرية في اللباس والطعام واللون والمعتقد والدين، فلا تستطيع وصفهم بقرية من النمل كما نحن، حين لم نكن نعرف حدوداً للاختلاف والتوافق، وكان الجميع يدور في فلك واحد ومفاهيم واحدة، وحين أراد جزء منا الخروج عن القاعدة كان علينا أن نغادر المكان مرغمين.

دار في خيالي الجنوني أن ماذا لو قامت ثورة في هذه المدينة؟ ما الذي كان سيحدث وقتها، وكيف سيكون الانقسام، وهل سنكون نحن لواء المهاجرين؟ المضحك أني تخيلت أن يكون هناك فصيل للمثليين الذين يملؤون المدينة، واحترت في اختيار اسم له.

لعل الإنسان يبحث عن توازن ما حين يلتقي بنقيضه فيبحث خيالاً عما يريد أن يكون. حاولت استبدال ذاكرتي عن حلب خلال تجوالي في شوارع اسطنبول، ولكني تذكرت مقولة لحكيم مرزوقي «لا تبحث عن مدينة في مدينة، لن تجدها». شعرت وقتها أن اسطنبول تسخر مني، تلك العصية بسورها، البخيلة حتى بسرّ قهوتها المحمّصة التي كانت في وقت ما أمراً حرص السلاطين على عدم إخراجه منها كما قرأت يوماً. ليعود السؤال ملحاً هذه المرة: كيف وُلِدت حلب بكل تلك الخصائص إذاً؟ وهي المصرّة على سبقها في كل شيء، من رائحة القهوة والزعتر إلى سرّ صابون الغار، وصولاً إلى سور المدينة الذي يتعالى بصوت قدودها.

هربت إلى أول لافتة لمطعم حلبي رأيته في اسطنبول كيلا أتعلم مذاق طعام آخر. لم أنسَ لكنتي وأنا أحاور النادل والعمال. وابتسمت هذه المرة، فالعودة إلى رحم أمي كانت الطريقة الوحيدة كي لا أصفع من جديد.

الطيب والشرير والقبيح

مكتب في سجن تدمر

أشعر بشيء من الحرج كلما أردتُ الكتابة عن سجون «الزمن الجميل». فالوحشية البهيمية السائدة اليوم في سجون ومعتقلات نظام بشار الكيماوي، وقد وثقتها تقارير كثيرة لمنظمات حقوقية دولية، تكاد تجعل من السجن، في تلك الأيام، نزهة بريئة، بالقياس إلى «المسلخ البشري» على ما وصفت منظمة العفو الدولية سجن صيدنايا. لا يمكن معرفة العدد الحقيقي لمعتقلي النظام اليوم، ولكن يمكن الحديث، بلا مجازفة كبيرة، عن عشرات الآلاف، بينهم الكثير من الأطفال.

بكر صدقي

طوال نحو ثماني سنوات، هي الفترة التي أمضيتها، من زمن اعتقالي، في سجن حلب المركزي في المسلمية، كانت مفرزة الأمن السياسي المشرفة على الجناح تتألف من رئيس المفرزة المساعد أول أبو أمجد، وثلاثة شرطيين هم أبو جمعة وأبو أحمد وأبو عادل. كان لهم نظام دوام روتيني لا يتغير إلا في حالات طارئة. فرئيس المفرزة يداوم يومياً، باستثناء يوم الجمعة، في الفترة الصباحية الممتدة من الثامنة إلى الثالثة بعد الظهر، ويكون معه اثنان من الشرطة، يبقى أحدهما مناوباً بقية اليوم، إلى صباح اليوم التالي. أما يوم الخميس، يوم الزيارات -إذا كانت مسموحة- فيكون الأربعة موجودين معاً إلى ما بعد الظهر.

أصبح السجانون ورئيسهم، بمرور السنوات، جزءاً من حياتنا اليومية، نعرف شخصية كل منهم وتقلبات مزاجه، ومشكلاته المهنية أو الشخصية، ونقاط قوته وضعفه. ما سوغ لي اقتباس عنوان هذا النص من فيلم الوسترن الشهير «الطيب والشرير والقبيح» للمخرج الإيطالي سيرجيو ليوني، هو ذلك التباين بين مسالك السجانين الثلاثة في تعاملهم مع المعتقلين.

الطيب

كان أبو عادل هو الوحيد، بين الثلاثة، الذي يمكن وصفه بالطيب، نظراً لأنه لم يؤذِ أحداً من المعتقلين طوال تلك السنوات، مع العلم أن «طيبته» كانت نتيجة فساده: كان يتلقى الرشوة من المعتقلين مقابل خدمات معينة، منها إدخال الكتب والمجلات. بل وصل به الأمر إلى حد إدخال المخدرات إلى مجموعة اعتقلها الأمن السياسي، كانت تتاجر بالمخدرات في حلب، في الثمانينات، وتصدرها إلى أوروبا.

كانت أبواب المهاجع تبقى مفتوحة، أثناء مناوبات أبي عادل، من الثالثة ظهراً إلى الحادية عشرة ليلاً، وقد تمتد إلى ما بعد ذلك، إذا كان أبو عادل يلعب الورق مع المعتقلين في أحد المهاجع. من أبرز الذكريات عن هذا السجان، تلك الليلة الرهيبة التي تحولنا فيها إلى رهائن يساوم عليهم إرهابيون. كان أبو عادل يلعب الورق في المهجع العاشر، حين سمعنا صوت طلقة مسدس دوَّت في صمت الجناح. ركض أبو عادل إلى المفرزة، وصرخ يطلب ممن في داخلها فتح الباب. ثم عاد راكضاً، بعد دقائق، ممتقع الوجه، وأقفل أبواب جميع المهاجع، ثم دخل المهجع العاشر وأقفل بابه أيضاً حيث احتمى بالمعتقلين حتى الصباح. «قتلوا سجان الأمن العسكري» هذا ما أخبرنا به وهو يقفل الأبواب. (كتبتُ تفاصيل هذه الحادثة في مقالتي: «حلب: عودة الرعب» – القدس العربي، 15 كانون الأول 2016).

الشرير

أبو جمعة (جاسم) من ريف السفيرة. أسمر الوجه موشومه، مؤذٍ بإخلاص كلبي. كان يستدرج المعتقلين السياسيين في النقاش السياسي لكي يفرغ فيهم أحقاده وينتقم منهم لاحقاً، مع العلم أنه غير معني أبداً بأي سياسة. الشيء الوحيد الذي يعنيه هو أننا معارضون للنظام، ينبغي تأديبنا، وإن اقتضى الأمر: سحقنا بلا رحمة. يمكن تلخيص «فلسفته» في الحياة بقصة حكاها لنا بوصفها عبرة نعتبر بها:

قال إن ابنه بلغ عمر الشباب في مطلع الثمانينات، وكانت «أحداث» الصراع بين النظام والإخوان المسلمين على أشدها في حلب ومدن أخرى. خاف أبو جمعة على ابنه أن تجرفه الأحداث فيقع ضحية لها. فحذره طالباً منه العودة إلى البيت، كل يوم، قبل مغيب

الشمس. لكن الفتى لم يلتزم، وكرر التأخر أكثر من مرة على رغم توبيخ أبيه المتكرر وتهديداته. فما كان من أبي جمعة إلا أن سلمه لصديق له يعمل في فرع الأمن العسكري، طالباً منه تأديب الولد حتى يرتدع. كان يخشى أن يرق قلب زملائه في فرع الأمن السياسي فلا يؤدبونه كما يجب، باعتباره ابن زميلهم. لذلك اختار فرعاً آخر تلقى فيه الولد نصيبه من التعذيب في الدولاب، كما يعذب أي معتقل بين أيديهم. ومن يومها التزم الولد بأوامر أبيه. «أنا نبي!» قال أبو جمعة في ختام حكايته «عرفت أنه بحاجة إلى تخويف حقيقي حتى لا يقع له مكروه».

القبيح

أبو أحمد، من ريف محافظة إدلب، كزميله أبو عادل. أصغر السجانين عمراً وأقلهم عقلاً. كان أبو جمعة غالباً ما يدفعه خفيةً، إذا أراد أن يؤذي أحد المعتقلين السياسيين، فيكون «وجه المقابحة» الذي يختفي خلفه. كان أبو أحمد أحمق أرعن ينال عداء المعتقلين مجاناً، في حين يظهر أبو جمعة وكأنه لا علاقة له بالأمر، بل يعبّر عن «أسفه»، في بعض الأحيان، مما اقترفت يدا زميله، إذا اشتكى له أحد المعتقلين عن أذية المذكور. اشتهر أبو أحمد بسرقة الملابس الداخلية للمعتقلين ممن تأتيهم زيارات. وفي فترة من الفترات، امتدت لأكثر من سنة، كان يجبرنا على النوم في الحادية عشرة ليلاً، ويتسلل في الليل مثل اللصوص لضبط غير النائمين لكي يتلذذ بجلده.

....

الخلاصة أن سنوات مضت، يتناوب على أيامنا فيها ثلاثة سجانين، هم الطيب والشرير والقبيح، بانتظام لا يختلف عن انتظام تعاقب الليل والنهار على كوكب الأرض. سوف يختل هذا الانتظام قليلاً، في السنة الأخيرة من أيام سجن المسلمية، حين تم استبدال بعض السجانين بآخرين جدد لم يكفِ الزمن ليتركوا الكثير من الذكريات. وسيعود أبو أيمن الذي سبق وكان سجاناً في الجناح في السنة الأولى لتأسيسه. وهو يستحق صفة الطيب استحقاقاً تاماً، بأكثر من أبي عادل الذي كان يبيع «طيبته» المصطنعة مقابل الرشوة.

غالباً ما كانت مناوبات أبي أحمد (القبيح) كابوساً على الجناح، يعدّ فيها المعتقلون الدقائق والساعات بانتظار انتهائها. ففيها تبقى أبواب المهاجع مقفلة طوال الوقت، مع استثناءات قليلة يفتحها فيها. كان لفتح الأبواب أهمية كبيرة في التخفيف من وطأة السجن، فيتمشى السجناء في كوريدور الجناح الطويل، ويلتقون بزملائهم في المهاجع الأخرى، وتخف بذلك وطأة الزمن القاتل.

لكن مناوبات أبي جمعة كانت أكثر خطراً، لأنه يمكن أن يؤذي أكثر من أبي أحمد، أو يبيّت أحقاده ثم يحرض وجه المقابحة على إيقاع الأذى بالمعتقلين.

لماذا تذكرت هذا الآن؟

منذ اليوم الأول لدخول دونالد ترامب البيت الأبيض وهو يتخذ قرارات مؤذية، لا يقتصر أثرها على الأمريكيين وحدهم، بل تتعداهم إلى العالم بأسره. يبدو من موجات الاستياء من قراراته وكأن العالم قد ابتلي بـ«مناوبة» السجان القبيح (ترامب) يعد الأيام بانتظار الفرج في نهاية ولايته.

غير أن العالم لا يعرف من الذي سيكون في «المناوبة» التالية: الشرير أم «الطيب» الفاسد؟

الشبيحة بقفازات من حرير

أبو محمد الإدلبي

بمناسبة عيد الأم استقبلت أسماء الأسد عدداً من النسوة القادمات من حلب ممن قتل أبناؤهن مع جيش النظام في المعارك هناك. بثت إحدى الفضائيات المحلية كلمتها أمام هاته النسوة، كما أصدرت رئاسة الجمهورية هذا الحدث على شكل فيلم فيه من البؤس والحزن ما يدعو إلى الرثاء. يبدأ باستقبال «السيدة الأولى» الأمهات عند باب القصر الجمهوري بالقبلات والعناق، ومساعدة بعضهن في صعود الدرجات القليلة في «لفتة إنسانية» لا تستغرب عن آل الأسد.

سننقل بعض الكلمات «التاريخية». بدأت أسماء الكلام عن «تحرير حلب» الذي وصفته «كما قال السيد الرئيس.. بأنه قد غيّر وجه التاريخ». نعم، دفعةً واحدة. لا يقصد بشار وزوجته تاريخ سوريا. كلا، بل التاريخ بالمطلق. كيف؟ لا أحد يوضح، ولا حتى السيدة الأنيقة التي كانت تتكلم بثقة كبيرة وهدوء شديد مع حركات لليدين وتعابير للوجه مدروسة بعناية فائقة. بينما كانت الكاميرا تنقل تعابير وجوه الأمهات وإصغائهن التام إلى درجة الخشوع.

تحاول الجملة التالية أن ترتقي قليلاً في اللغة بطريقة فنية لا يقدر عليها الشبيحة العاديون: «أهل حلب رجعوا يعمروا المعامل اللي سرقها ابن الجيران». الذي يسرق لا يدمر، وهذه زلة منك أيتها الشبيحة الناعمة! أما ابن الجيران فزلة أخرى. ولكن لنلتقط جواهر الكلام قبل وقوعها إلى الأرض: «التاريخ يكتبه الأقوياء لكن في سوريا يكتبه الحق». الشعوب دائماً على حق سيدة أسماء، ولذلك تكتب تاريخها بدمائها وبكائها وحزنها وجوعها وبردها، بمعتقليها وأطفالها المشردين، كما تحدثت أنت عن «أطفال الحرب اللي عاشوا الدبح والإجرام والوحشية والخيانة، واللي أكتر من هيك سمعوا مصطلحات وتقسيمات غريبة عنا...».

نعم، هذه المصطلحات الغريبة عنكم، التي رددها أطفال سوريا ورجالها ونساؤها، هي ما يخيفكم أيها الطغاة. كلمات مثل الحرية والكرامة ويالله ارحل يا بشار هي التي ترتعد أوصالكم منها. وأخيراً جاء أفضل ما تفوهتِ به في تلك الأمسية التشبيحية الباردة: «القاتل والمجرم ما بيعرف يبني أحلامو إلا بالكذب والسرقة... اللص بيضل لص... بيعيش لص وبيموت لص». كأنك تقفين أمام المرآة!

خرافة المكوّن العربي السنّي

سهيل نظام الدين

يشغل تعبير «المكون العربي السني» موقعاً أثيراً في السردية التي تسوقها واشنطن، وقيادة التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش، عند الحديث عن معركة الرقة.

وتستخدم إدارة الرئيس دونالد ترامب، كما سابقتها -إدارة باراك أوباما- هذا التعبير في سياق محاولة طمأنة بعض الحلفاء؛ الذين تزعجهم مشاركة ميليشيات وحدات حماية الشعب الكردية، الجناح المسلح لحزب الاتحاد الديموقراطي، في العملية، بل وواقعياً، قيادتها للحملة البرية على المدينة، التي باتت محور الاهتمام العالمي في سوريا مؤخراً.

ويؤكد التحالف، الذي تقوده الولايات المتحدة، أنه سيقوم في نهاية المطاف، بتسليم المدينة إلى «المكون العربي السني» في قوات سوريا الديموقراطية التي تشكل الوحدات الكردية عمادها وقوتها الحقيقية على أرض المعركة.

المفارقة هنا أن الأمر يأخذ طابع الرشوة -أو الوعد بالرشوة- بعد انتهاء المعركة، وطرد داعش من أهم موقع سيطر عليه في سوريا، لكن هذه السردية تصطدم كل مرة بطموحات معلنة للميليشيات الكردية، وواجهتها السياسية، إذ تتكرر تصريحات قادة الحزب، وآخرهم زعيمه صالح مسلم، بأن الرقة ستكون جزءاً أو أنها ستنضم إلى الفيدرالية المعلنة من طرف واحد في شمال سوريا، ومع أن الأميركيين سارعوا إلى التملص من هذه التصريحات، وأعادوا مستقبل سوريا إلى «ما يقرره السوريون» ثم أعلنوا أنهم سيسلمون المدينة إلى «المكون العربي السني» إياه، إلا أن هذا لم ينتج سوى مزيد من الغضب في تركيا التي لا ترى في الحزب الكردي السوري سوى امتداد لحزب العمال الكردستاني -المصنف كتنظيم إرهابي في الولايات المتحدة- بمشروع انفصالي واضح المعالم. والواقع أن الاتحاد الديموقراطي نفسه وإن كان يلوذ بالصمت إزاء علاقته بالكردستاني التركي، فإن أدبياته السياسية برمتها تقوم على آراء عبد الله أوجلان، الزعيم التاريخي للحزب الكردستاني التركي والذي تحتل صوره مكان صور حافظ الأسد وبشار الأسد في مناطق السيطرة الكردية المتفردة داخل ما بات يطلق عليه «روج آفا» أو أنها تشارك صور رئيسي النظام السوري حيز العلن في مناطق السيطرة المشتركة.

السؤال هنا يتعلق بهذا «المكون العربي السني» الذي يعمل كـ«محلل» للامتداد الجغرافي المتنامي للمليشيات الكردية. الصيغة الواسعة لهذا التعبير تحمل طابعاً ديموغرافياً متسقاً يُفترض أنه يتمم، أو يشغل، الحيز الأوسع ظهوراً في مقابل مكون كردي، ومكونات قومية وطائفية أخرى -آشورية وسريانية وتركمانية وغيرها- لا يرد ذكرها كثيراً في سياق الحديث عن قوات سوريا الديموقراطية، لكن الحقيقة ليست بهذا التجانس، المكون العربي السني يتألف من خلطة عشائرية ومناطقية متباينة الأهداف والنوايا، بل إن بعض عناصر هذا المكون تختزن في ما بينها فرصة احتراب داخلي؛ هناك فصائل قاتلت مع الجيش الحر، وآخرون تحالفوا لفترة مع جبهة النصرة ثم تركوها -جيش الثوار، مثلاً، كان جزءاً من غرفة فتح حلب ثم اشتبك مع الجبهة الشامية وانفصل متجهاً للحصول على دعم أميركي ضد داعش- وآخرون ينتمون جوهرياً وعملانياً إلى معسكر النظام، وقاتلوا معه ضد الجيش الحر وبقية فصائل المعارضة المسلحة، وبعضهم محسوب منذ بداية الثورة على مليشيات الدفاع الوطني -الاسم الرسمي للشبيحة- بالإضافة إلى مسلحي عشائر فراتية شكلوا يوماً العمود الفقري لجبهة النصرة في ريف دير الزور.

لا يمكن الاستنتاج بسهولة أن ثمة مشروعاً مشتركاً داخل «سوريا الديموقراطية». وهذا الاسم الرنان يضمر تناقضاً مسكوتاً عنه ومؤجلاً تحت ضغط ضرورة التخلص من داعش، بين مشروع كردي فيدرالي هو الاقوى داخل التجمع وبين شظايا طموحات انتقامية وثأرية وأخرى باحثة عن خارطة جديدة لتوازن القوى العشائري في المنطقة على أنقاض ما كان أصلاً حطام التوازن الأعرافي الذي أنشأه نظام حافظ الأسد بعد تقويض التوازن التاريخي للقوى الذي رسخ صورة المنطقة منذ قرنين أو أكثر من الزمان.

وفي حين ترددت أنباء قبل فترة عن محاولات أميركية لإدماج أربع من كبرى عشائر الرقة -البياطرة والعجيل والنعيم والبريج- في جهد محاربة داعش، فإن هذا الاقتراح اصطدم بمواقف متباينة من الأكراد والنظام وداعش. وفي حين أن «المكون الكردي» يبدي تماسكاً مركزياً حول قيادة موحدة وانتظاماً عسكرياً داخل الجناح المسلح، فإن «المكون العربي السني» مشتت بحدة حول الأدوار المستقبلية والحاكمية والثورة نفسها.

فالبياطرة مثلاً معادون لداعش -كحال الغالبية الساحقة من أبناء المنطقة- لكنهم معارضون بنفس القدر لأي دور للنظام والأكراد -في تمثيلهم عبر حزب صالح مسلم- في الرقة، وهو ما قد يصطدم بموقف أكثر مرونة لعشائر أخرى قد تقبل تسوية ما.

الواقع أن تعبير «المكون العربي السني» يفتقر إلى الاتساق، و يعكس تصوراً بدائياً للمجتمع وقراءة لا تأخذ في الاعتبار التحولات التي أفرزتها سنوات الثورة.

وضع ثقل قومي-مذهبي مقابل للأكراد ليس سوى تكريس للانفصال، بعكس ما يفترض أن يكون دوره كعامل تعاون وتكامل.

العلمانية... ترف فكري أم حاجة مجتمع؟

أحمد عيشة

كتب الكثير من المفكرين أن التيارات السياسية العربية بكل تلاوينها، اليسارية والقومية والليبرالية وحتى الإسلامية، لم تنشأ إلا استجابة لسؤال طرحه الغرب وليس المجتمع، وكذلك مختلف الشعارات المرتبطة بهذه التيارات. ومن هذه الملاحظة يمكن أن نناقش أبرز القضايا التي يتم تداولها اليوم بين أوساط المثقفين السوريين، وخاصة في المنافي والمهجر: العلمانية، كردٍّ مباشر على حالة التطرف التي تشهدها البلاد.

تعاني بلادنا من حالة قصوى من متلازمة الاستبداد-التطرف اللذين يحصد كلاهما أرواح البشر بلا حساب، وإن بنسب متفاوتة، فالأرجحية الكبرى للاستبداد ونظامه. لكن العلاقة بينهما مترابطة، إذ تؤسس الأنظمة الشمولية الأرضية لولادة آليات التطرف في مواجهتها. لأن الاستبداد، بما يشمل من مؤسسات رعب وهيئات هامشية ملحقة به، يخنق كل أشكال الحياة العامة السياسية والثقافية وغيرها من أشكال التجمع والنشاط البشري، بشكل لا يبقى معه أمام الناس للتعبير عن وجودهم سوى نبش الماضي والتجمع حول عقائد وأفكار تغلف حالة السحق والضعف، وتولد الحالة النظيرة للاستبداد بشكل طبيعي وبالشكل نفسه، وهو ما يعبر عنه بحالة التطرف.

ففي بلدنا سورية، على سبيل المثال، لم يوفر النظام عبر سنوات طويلة أي وسيلة لاستكمال عملية التكميم وصولا إلى الموات، ابتداء من الحياة السياسية وصولاً إلى تفكيك الروابط الاجتماعية، وحتى دور العبادة لم تسلم من سيطرته. ومع اندلاع الثورة، التي كان لها الفضل الكبير في كسر قشرة الرعب، ظهرت إلى السطح المشاكل الكثيرة التي كان النظام يدفنها. وبمواجهته العنيفة لكل الحلول أجبر الناس على حمل السلاح دفاعاً عن وجودهم، مما مهد الطريق أكثر لظهور وتبلور أشكال عنفية متطرفة في مواجهته. وأمام تلك الوقائع المرعبة من بطش النظام وتوحش التطرف يطرح بعض المثقفين والمهتمين بالشأن العام العلمانية كإحدى وسائل مواجهة التطرف؛ بمعنى فصل الدين عن الدولة، والمساواة بين المواطنين.

وبالعودة إلى تاريخ العلمانية نلحظ أنها نشأت استجابة لوضع عاشته أوروبا التي عانت الكثير من سيطرة الكنيسة على الدولة والمجتمع، ابتداء من صكوك الغفران حتى تعيين ومباركة الأباطرة والملوك، وأدخلت معظم البلاد الأوروبية في حروب دينية دامت طويلاً وأزهقت حياة الكثيرين، إضافة إلى صعود طبقة جديدة (البرجوازية) تبحث عن دور ومصالح. هذا كله وَلَد لحركات الإصلاح الديني أولاً، ومن بعدها لأفكار التنوير، حوامل اجتماعية بشرية تتناقض مصالحها مع السلطات والكنيسة، وصولاً إلى الثورات الأوروبية وذروتها الفرنسية التي طرحت شعارات الحرية والمساواة. ولم تعلن علمانية الدولة في فرنسا بشكل نهائي إلا عام 1905، وتعدّ أكثر أشكال العلمانية حدية في كل أوروبا.

كان لتوسع المشاركة الشعبية عبر الآليات الديمقراطية في صنع القرار ومراقبته في أوروبا، حيث المساواة أمام القانون تكفلها كافة الدساتير لكل مواطنيها، إضافة إلى الحريات الشخصية والعامة، دور كبير في تخفيف حدة العداء القديم بين الدولة والكنيسة. إلى درجة أن تكريس احدى الدول الأوروبية في دستورها أن الدين الرسمي للدولة هو المسيحية الكاثوليكية، وثانية هو الأرثوذكسية، أمر لا يثير مشكلة لدى رجالات الدولة ومواطنيها.

ما نشهده في بلادنا، كغيرها من الأنظمة الشمولية، هو الهيمنة الكاملة للسلطات الأمنية والمذهبية على كافة الفضاءات البشرية، ومنها الفضاء الديني الإسلامي الذي يشكل الموروث الثقافي للغالبية، فقد ألغت السلطة أي استقلالية لهذا الفضاء، مما منعه من أي تطور ذاتي يمهد لحركات إصلاحية كما حدث في القرن التاسع عشر (الأفغاني؛ عبده؛ رضا) وغيرهم.

أمام تلك الوقائع، حيث الهيمنة الاستبدادية التي لا تناسب إلا التطرف، تبدو العلمانية بشكلها المطروح والملتبس في المجالين السياسي والاجتماعي، مفهوماً مجرداً من دلالته الجوهرية التي تأسست عبر معركة التحديث التي عاشتها المجتمعات الغربية، وتظهر كأيديولوجيا أكثر منها كحالة إجرائية لا تميز الناس وفق أديانهم ومذاهبهم، وترفاً فكرياً لا يقرأ الوقائع والتاريخ بشكلهما المعقول، وتجلت في العداء السافر للدين الإسلامي وللمسلمين مما وضعها في مكان قريب من أنظمة الاستبداد التي ادعت أنها علمانية، بينما هي أنظمة بلا دين ولا دنيا. وبالتالي فإن الأكثر إلحاحاً في سورية هو السعي إلى بناء دولة (وهي الشرط الأساسي للعلمانية) متحررة من سلطة المخابرات، بحيث يتحرر المجتمع من هيمنتها المطلقة، مما يسمح بتقدمه وتطور منظماته السياسية والمدنية بعيداً عن شروط الاستبداد، ويمكّنه من إيجاد الحلول السليمة للمشاكل التي تواجهه.

المناطق الآمنة موجودة بالفعل على طول الحدود السورية

لورينزو تروميتا
موقع newsdeeply-13 آذار
ترجمة مأمون حلبي

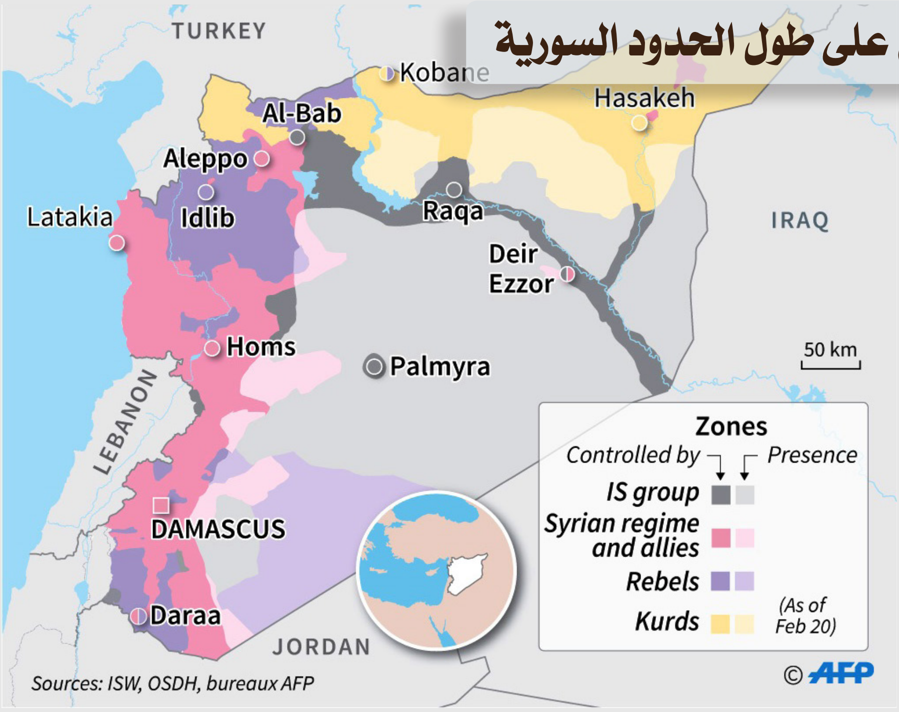

طيلة السنوات الخمس الماضية ناقشت مختلف القوى الأجنبية المنخرطة، بشكل مباشر أو غير مباشر، في الحرب السورية، مسألة إقامة مناطق آمنة في البلاد أو عدم إقامتها. وقد ازدادت هذه النقاشات في الأشهر الأخيرة. مع ذلك، مناطق السيطرة التي تلعب دور المناطق الآمنة موجودة بحكم الأمر الواقع على امتداد ثلاثة من أصل أربعة من حدود سوريا الدولية.

تركز جدل خطاب المناطق الآمنة في البداية على حماية المدنيين، لكن مؤخراً تم اقتراح هذه الاستراتيجية كوسيلة لمنع اللاجئين و«الإرهابيين» المزعومين من الفرار إلى بلدان مجاورة وإلى أوربا. مع ذلك، استخدم الفاعلون العالميون والإقليميون مناطق الأمر الواقع الآمنة، التي أصبحت ماثلة الآن، من أجل زيادة فرص نجاح أهدافهم السياسية والعسكرية وتقسيم سوريا إلى مناطق نفوذ مختلفة لا من أجل مقاصد إنسانية. هذه المناطق الموجودة واقعة رسمياً أو شكلياً تحت سيطرة قوى إقليمية ووكلائها السوريين. ويبرر اللاعبون الأجانب نفوذهم العسكري والسياسي والاقتصادي، وفي بعض الحالات الثقافي والطائفي على هذه الأراضي السورية، بحجة أنهم يقاتلون الإرهاب.

في عام 2013 بدأ حزب الله، المموَّل من إيران، «بتطهير» الحدود اللبنانية السورية، وبعد عام فقط حقق نجاحاً عسكرياً وسياسياً كبيراً في حمص. وحالياً، يمتد «الحزام الآمن» لحزب الله وإيران من حمص وريفها إلى السهول والتلال الواقعة بين دمشق ومرتفعات الجولان.

قُرب الجزء الذي تسيطر عليه إسرائيل من الجولان، يتحكم الأردن بجماعات المعارضة المسلحة في درعا ووادي اليرموك منذ عام 2014، بموافقة ضمنية من الولايات المتحدة وحليفيها الرئيسيين في المنطقة، إسرائيل والسعودية. ومنذ العام الماضي يحاول الأردن أن يوسع نفوذه إلى أراض يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية واقعة بين معبر التنف السوري العراقي ومناطق دير الزور الجنوبية الغنية بالنفط.

وتقع منطقة الأمر الواقع الآمنة الثالثة في شمال سوريا، ويهيمن عليها لاعبان أساسيان. إذ تسيطر القوات الكردية على إقليم روجآفا المتمد من الحدود التركية العراقية إلى عفرين في شمال غرب سوريا. وللقوات التركية حضور منافس في المنطقة، حيث منع نفوذ أنقرة المباشر في جرابلس والباب واعزاز القوات الكردية من توطيد سيطرتها عبر «كانتونات» عفرين وكوباني والجزيرة. وبالرغم من أهدافها العسكرية والسياسية الواضحة، أثبتت هذه المناطق العازلة على وجه العموم أنها أكثر أماناً للمدنيين من المناطق السورية الأخرى، مع ضربات جوية وقصف مدفعي أقل بكثير مما في نقاط النزاع الساخنة.

يجب أن يترافق نزع العسكرة عن هذه المناطق وإعادة الخدمات إليها مع إعادة تشييد للبنى التحتية وإعادة بناء اجتماعية بحسب الاحتياجات ووجهات النظر السياسية للجماعات المحلية وللعائدين إلى ديارهم. لكن معالجة هذه المسائل لا تبدو أولوية بالنسبة إلى أولئك الذين يسيطرون على تلك المناطق.

لقد كان للهدنة الناتجة عن مفاوضات أستانا تأثير إيجابي على الجماعات المحلية المعرضة للعنف على طول محور حلب دمشق. إلا أن الهدنة، من منظور جيوسياسي، تسلط الضوء على الهدف الروسي الإيراني التركي الرامي إلى تقسيم سوريا رسمياً على امتداد خطوط المعارك الحالية، والمجمدة تقريباً. عن طريق عملية أستانا نجحت البلدان الثلاثة في جعل وكلائها يحترمون النظام الجديد المنبثق. قبل جولة المحادثات الثالثة في أستانا زار أحمد الجربا، الذي تربطه علاقات وثيقة بالسعودية، العاصمة الروسية بدعوة من بوغدانوف، نائب وزير الخارجية الروسي. قد يُلمح هذا اللقاء إلى استعداد السعودية للتفاوض ضمن هيكلية أستانا. وفي هذا الإطار تبدو أنقرة أيضاً مهتمة بتوسيع نفوذها في إدلب، ولا يمكن تفسير المواجهة الدموية الجارية بين المجموعات المتطرفة، بما فيها الفرع السوري السابق للقاعدة ومنافسته حركة أحرار الشام الموالية لأنقرة بشكل متزايد، فقط كصراع إخوة أعداء على السلطة المحلية، ولكن أيضاً كنتيجة لمساعي أنقرة في إنشاء منطقة عازلة على طول قطاع آخر من حدودها مع سوريا.

في حين قد تعمل المناطق الآمنة على المدى القصير في تخفيض العنف والسماح لبعض المدنيين في العودة لديارهم، تشير الحالة الراهنة لمناطق السيطرة هذه أنها - عكس ما يكرره القادة الأجانب ليبرروا الحاجة لمناطق كهذه - لن تكون كافية لحل طويل الأمد بالنسبة للاجئين وأولئك المهجرين داخلياً ضمن البلاد.

الحاج أحمد دهموش...
واضع (طاقية هذا على راس هذاك)

بالتأكيد لن يترك رئيس فرع الهلال الأحمر، أحمد دهموش المشهور، وراءه أي أثر في المنظمة، كإمضاء على ورقة أو أمر إداري مكتوب، لأنه يفضّل التفرغ لعمله كأحد رجال إيران في مدينته دير الزور، أولاً، ولأنه الشريك القديم والمفضل لكبار ضباط الأمن، ثانياً، ثم إنه لا يجيد القراءة والكتابة!

من إطلالته السعيدة في بيته، عند حاجز المخابرات الجوية بباب مصلى في دمشق، يدعم الحاج أحمد نادي الفتوة الرياضي، ويسيّر أعمال فرع الهلال بدير الزور، عند فراغه من بناء وتوطيد علاقاته العامة، بعد أن تحولت المنظمة على يديه إلى ما يشبه المؤسسة الاجتماعية العسكرية، توزع الفتات للمدنيين. والحاج خير من يستغل هذه الفتات في فتح آفاق جديدة لموارده وصلاته وأدواره الشبحية في الكثير من القرارات، كتعيين وخلع صديقه المحافظ السابق فواز الصالح من مركزه، ووضع قريبه محمود حيو مديراً للزراعة، وتسهيلهما لعملية تخزين منتج الحنطة المورد من الريف الغربي، صيف 2013، في أرض الحاج التي أجرها للمحافظة لقاء عشرات الملايين، ثم إرسال قسم معتبر من ذلك المخزون إلى طرطوس بسيارات الإغاثة، مع بداية سيطرة داعش على المنطقة، وليس أخيراً تصفية عاملين في الهلال الأحمر.

منذ صعوده المتعثر في تجارة الأقمشة والبزر مع والده في سوق الحب بدير الزور، حتى انتزاعه فرع الهلال من رئيسه السابق غسان شباط، بعد توصية من علي مملوك، يمضي دهموش في عمله الأساسي كفهلوي يلبس الناس قبعات لا يملكها، متسلحاً بما منحته إياه التجارة من أدوات، كالوعود الوردية بالجملة والسرية التامة والتكسب من جهل الزبائن والابتسام الدائم والبهرجة الرخيصة.

لم يبرع الحاج في مسيرته الهلامية الغامضة سوى في الكذب وتمثيل الأدوار؛ فمرّة يعمل بالتجارة ليحتال على عمه بتسعة ملايين ليرة، ومرّة باقتناء السجاد العجمي ليهرّب الجواهر والتحف ويبني علاقة مع الحرس الثوري الإيراني، ومرّة بعمل عمته الثرية الخيري ليتسلم الدعم الإيراني لصالح مجمع الحسن والحسين في حيّ الجورة، ومرة ببناء برج الدهموش ليشغّل أموال جامع جامع الذي سهل له بناء البرج على أملاك الدولة، ومرّة ببيع بواريد البمب أكشن للمتظاهرين ليوفر حجة إعلامية لجيش الأسد لاقتحام دير الزور.

وفي خطواته المتأنية اليوم باتجاه السياسة، بالعمل على تشكيل حشد شعبي ضد داعش، ينزع دهموش حذره في ظل توجه عام لحرب التنظيم، يوفر له الظهور أكثر دون خوف على صورته الإنسانية التي رسمها له عمله الخيري، والتي ما زال يتوسل بها مكاناً في المناطق الرمادية والغائمة، وقد حاول أن يقف فيها منذ قيام الثورة، متعاطفاً معها أمام معارفه المتعاطفين، ومتهماً أخاه بالخيانة أمام آخرين، لمجرد تفضيله العمل في المناطق التي سيطر عليها الثوار، لكن الحاج أحمد سيظل وفياً لحسه التجاري القديم الذي يدفعه إلى الإبقاء على قنوات التواصل مع أخيه، فهو مصدر الآثار ومستورد البيبسي والكوكاكولا الحصري شرق دير الزور!

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

– لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
– ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
SNP

الغوطة الشرقية

عنفة بدائية لتوليد الطاقة الكهربائية - عدسة حراك غوطاني - وكالة قمرة - خاص عين المدينة

ريف حماة

إطلالة صيفية لمجرى نهر العاصي - عدسة أبو الوفاالحموي - وكالة قمرة - خاص عين المدينة